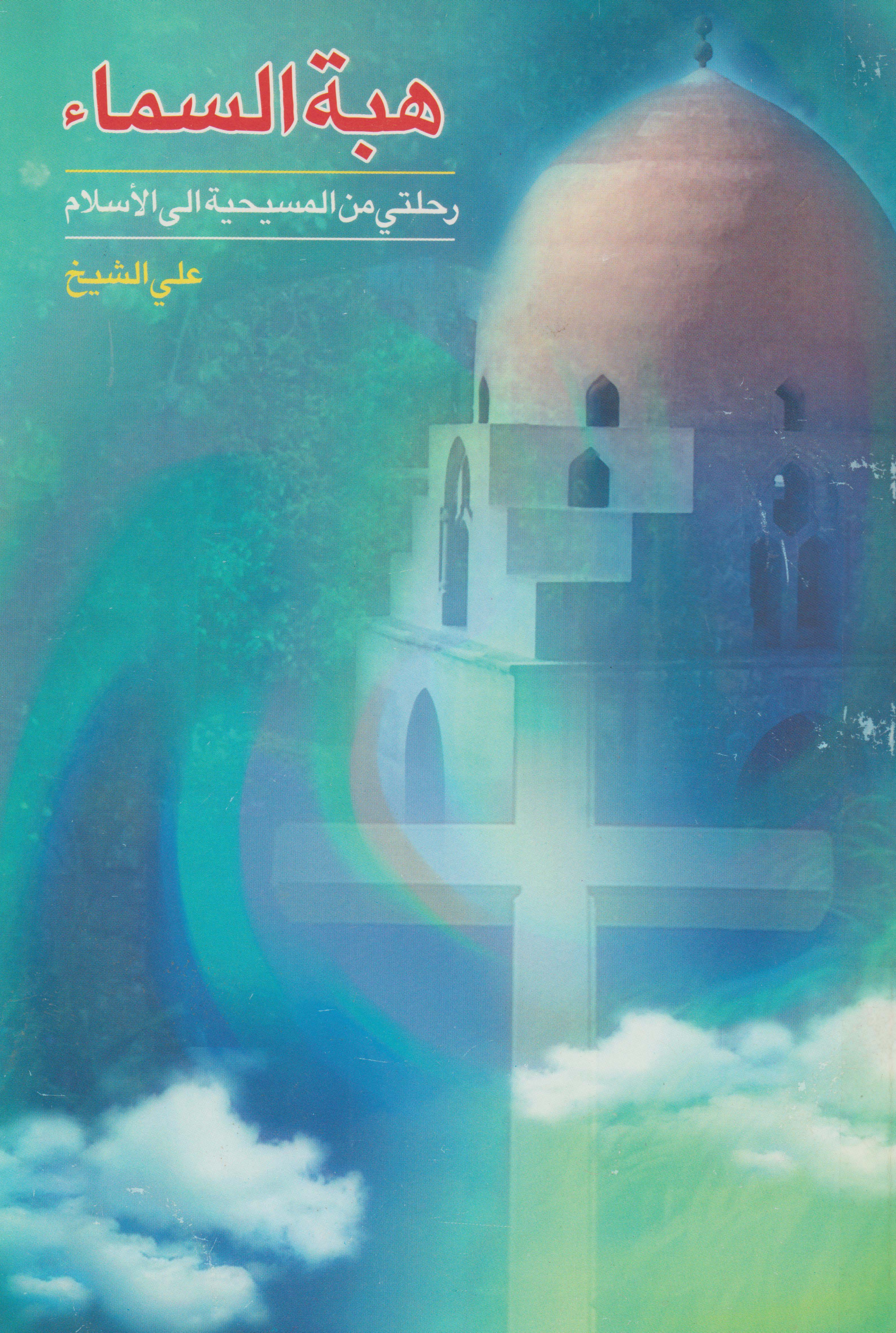
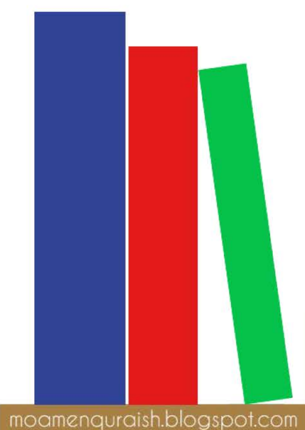


هبة السماء

رحلتي من المسيحية الى الأسلام

علي الشيخ



مكتبة
مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .

الإمام الصادق (ع)

moamenquraish.blogspot.com



رحلتي من المسيحية إلى الإسلام

علي الشيخ

دار الصادقين

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأُولىٰ

١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م

العدد : ٢٠٠٠ نسخة

الناشر : دار الصادقين للطباعة والنشر / المركز الدولي
الجمهورية الإسلامية في إيران ـ قم ، ص . ب ٣٦٣ / ٣٧١٨٥
هاتف : ٩٩ ـ ٧٣٩٠٩٨ / ٧٨ ـ ٧٣٧٠٧٧ (٢٥١ ـ ٠٠٩٨)
فكس : ٧٤٢١٤٢ (٢٥١ ـ ٠٠٩٨)

التوزيع : مركز بقيّة الله الاعظم
لبنان ـ بيروت

ISBN : ٩٦٤ ـ ٦٢٤٠ ـ ٤١ ـ ٠


بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

الى الذوات المقدسة، والأرواح الطاهرة لجميع الأنبياء والمرسلين من آدم عليه السلام حتى النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ، وأوصيائهم وأوليائهم المنتجبين عليهم افضل الصلاة والسلام...

الى خلفائهم بالحق العلماء الصالحين العاملين أمنائهم على الدين...

الى جميع الشهداء الذين بذلوا مهجهم لاعتلاء كلمة الحق وسقوا بدمائهم الزكية شجرة الدين والايمان على مدى الدهور...

الى كل انسان حر صاحب ضمير حي، نابذ للتقليد الأعمى، والذي يُحكِّم العقل وحده في معرفة الحق والحقيقة...

علي الشيخ

«المدخل»

نبذة عن حياتي وهدايتي:

كانت ولادتي ونشأتي في مدينة بغداد، ومن عائلة مسيحية ملتزمة، تؤمن وبعمق بتعاليم الكنيسة وتتبعها، ولهذا كان من الطبيعي أن أتبع ما ألفيت عليه آبائي واجدادي.

في الايام الاولىٰ من حياتي أجريت لي مراسيم التعميد[1] في الكنيسة كبقية الاطفال، وفي سن السابعة أرسلني والدي لأخذ التناول[2]. وكانت من الفترات الجميلة في حياتي، ففي هذه الفترة

---

(١) التعميد أو المعمودية: ـ وهو طقس الغسل بالماء رمزاً للنقاوة، ويعتقد المسيحيون أن المسيح عليه السلام تبنىٰ هذا الطقس وجعله فريضة في الكنيسة المسيحية، اذ انه جعل التعميد بالماء باسم الثالوث الاقدس علامة علىٰ التطهير من الخطيئة والنجاسة وعلىٰ الانتساب رسمياً إلىٰ كنيسة المسيح عليه السلام.

(٢) التناول: ـ المتعارف عندنا في الكنيسة الشرقية وبالتأكيد في بغداد أن

=

تعلمت الكثير من الامور، فالاجواء الروحية في الكنيسة وكذلك تشجيع ودعم الاهل، اضف إلىٰ ذلك حب التعلم والظهور لدىٰ الطفل، كلها كانت عوامل تساعد علىٰ بناء الشخصية المسيحية لهذا الطفل، ولا أبالغ ان قلت ان ذكريات تلك الفترة ما زالت إلىٰ الآن في ذهني، فأني احفظ بعض ما تعلمته من طقوس وأناشيد دينية في تلك المدة حتىٰ الآن. وعندما بلغت وأشتد عودي، ترسخت في نفسي هذه العقائد والتعاليم فكنت أمارس الطقوس الدينية من صلاة وصيام، وأذهب إلىٰ الكنيسة بأنتظام ولا سيما في (القداس الكبير) عصر يوم الاحد وتعلمت كيفية اعلان التوبة وطلب المغفرة من الرب، بالاعتراف أمام الأب في الكنيسة، اذ كان الأب يجلس في داخل غرفة صغيرة لا تتعدىٰ المتر المربع مصنوعة من الخشب، ولها باب واحد توضع عليه ستارة ذات فتحتين صغيرتين في الوسط منها تقريباً، واحدة للرجال وأخرىٰ للنساء، فكنا نجلس أمام الأب ونعترف له بخطايانا، فيأمرنا بعدم الرجوع إليها ويوجب علينا قراءة بعض الصلوات والتراتيل لمغفرة تلك الخطايا.

وأشتد حبي للمسيحية أكثر حينما بعث والدي أخي الصغير

=الطفل عندما يبلغ سن السابعة، ولكي تترسخ تعاليم المسيحية في نفسه يرسل إلىٰ الكنيسة في العطلة الصيفية ولفترة من ثلاثة أسابيع إلىٰ شهر وذلك لتعلم الصلاة وبعض الطقوس والاناشيد الدينية.

إلىٰ (الدير)[1]. للاشتغال بطلب العلوم الدينية ليصبح (قسيساً). وكان أخي لا يأتي إلىٰ البيت الّا مرة واحدة في السنة ولفترة قصيرة، ولهذا كان والدي يرسلني لزيارته بين حين واخر في الدير، فكنت أرىٰ الاجواء الروحية التي كانت تهيمن علىٰ ذلك المكان فتترك في نفسي الاثر الروحي، وكذلك كنت اسأل أخي عن كيفية الدراسة والموضوعات التي يدرسونها، فكان يحدثني عن مسائل كثيرة لم أكن افهمها في ذلك الوقت، ولا أخفي فأني كنت في قرارة نفسي أغبطه علىٰ تلك الحياة التي يعيشها منزوياً عن الناس والدنيا.

وعندما تجاوزت العشرين تعمقت هذه المعتقدات أكثر، ولكن ـ للأسف ـ لا عن وعي وبحث بل عن تقليد أعمىٰ، وقبول كل تعاليم الكنيسة علىٰ أنها أمور صحيحة ومسلّم بها علىٰ أنها تعاليم سيدنا يسوع المسيح عليه السلام، ولم يكن ليخطر ببالي في يوم من الايام أن أبحث وأحقق في هذه العقائد، ولعلي لا أكون ملوماً علىٰ هذه المسألة، لأني كنت أرىٰ أغلب الناس علىٰ هذه الحال، فالانشغال والانغماس في الحياة المادية والدنيوية والتعلق بها، ادىٰ إلىٰ حصر الفكر والعقل في زاوية وجهة واحدة وهي التفكير في تهيئة أسباب ووسائل لحياة سعيدة في الدنيا، وأما الآخرة والدين والعبادات

---

(١) الدير: ـ وهو مدرسة دينية خاصة تقع في بغداد يتخرج منها الطالب (قسيساً).

والعقائد فلم تكن تعدو كونها عادات وتقاليد مأخوذة من الآباء والاجداد ونؤديها تقليداً ليس الّا، وكذلك فأن الحضور في الكنيسة لم يكن من أجل تعلم العقائد المسيحية بالشكل الصحيح، بل لمجرد أداء الطقوس التي كانت تأمر بها الكنيسة ولأعلان التوبة وطلب المغفرة، وفي أحسن الاحوال الاستماع إلىٰ بعض النصائح الاخلاقية والتربوية.

ومن أهم المعتقدات التي كنت أؤمن بها بقوة، هي أن المسيحية فقط هي الدين الحق، وباقي الاديان الاخرىٰ كلها خرافات وأباطيل، فاليهودية باطلة لأن اليهود لم يتبعوا المخلّص يسوع المسيح عليه السلام فهم يستحقون غضب الرب، والمسلمون كذلك، وعلىٰ هذا فمن لم يكن مسيحياً فهو لا يدخل الجنة مهما فعل، والمسيحي الذي يؤمن بيسوع المسيح عليه السلام ويحبه ويتبعه فأن مصيره لا محالة إلىٰ الجنة مهما كان عمله لأن ذنوبه وخطاياه قد غفرت بالمسيح عليه السلام.

وكانت الصورة التي يحملها أبي عن الاسلام والمسلمين سيئة جداً، فاذا ما دار الحديث حول الاسلام والمسلمين كان والدي يصفهم بشكل سيء، وكان ينقل لنا القصص والحكايات التي تشين بشخصية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. ويقول لنا بأن المسلمين يسيئون إلىٰ يسوع المسيح عليه السلام الذي هو ابن الله وإلىٰ أمه، ويكذبونهما ويسخرون منهما، وأني أذكر عندما كان يتلىٰ القرآن من التلفاز كان والدي يأمرنا بأن

نغلقه كي لا نستمع إليه. فكنت أبغض الاسلام في نفسي، وكانت الصورة التي ارتسمت في ذهني عنه هو أنه ليس سوىٰ خرافات وأباطيل جاء بها رجل من الجزيرة العربية اسمه محمّد ﷺ. وأن القرآن وهو الكتاب الذي يزعمون أنه سماوي ومقدس كان والدي يقول أنه من كتابة وتأليف محمّد ﷺ نفسه وينسبونه زوراً إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ. واعتقد أن أغلب المسيحيين متفقون علىٰ هذا الاعتقاد.

وشاءت الاقدار الالٰهية أن تشملني رحمة الرب الرحيم حيث جئت إلىٰ إيران بعد انتصار الثورة الإسلامية المباركة، فشملني هذا النور الالٰهي الذي سطع في أرض إيران، علىٰ يد المصلح الالٰهي في القرن العشرين الإمام الخميني ﷺ. فالصحوة الدينية التي أوجدتها، والحقائق والمعارف الاسلامية الحقيقية التي كشفتها هذه الثورة المعجزة، كانت السبب في عودتي إلىٰ فطرتي وعقلي.

عندما جئت إلىٰ إيران وابتعدت عن أهلي، سنحت لي فرصة طيبة للبحث والمطالعة لبعض المسائل الدينية الاسلامية، واللقاء مع الكثير من العراقيين المسلمين في إيران أيضاً. حيث كانت تدور بيننا النقاشات حول الاسلام والمسيحية ولم تكن تنتهي غالباً بهدوء، إذ انهم كانوا يطرحون بعض الاشكالات والتساؤلات عن المسيحية كنت أعجز وأتحير في الاجابة عنها، ولكن كنت أدّعي أن لكل هذه

الاشكالات أجوبة وأن العلماء المسيحيين وآباء الكنيسة هم الذين يقدرون علىٰ الاجابة عنها، وكانوا غالباً ما يؤكدون بأن الاعتقادات المسيحية التي كنت أطرحها مخالفة للعقل ومتناقضة، كالبنوّة والتجسيد والتثليث وغيرها وكنت أجيب بأن هذه الاعتقادات هي سر من أسرار المسيحية لا يستطيع فهمها وأدراكها الّا المسيحي المملوء بروح القدس. ومضيت في مطالعتي للعقائد الإسلامية، ومن ضمن الكتب التي كان يدفعني الشوق لقراءتها القرآن الكريم وخصوصاً عندما عرفت أن في هذا الكتاب المقدس آيات كثيرة تتحدث عن قصة يسوع المسيح عليه السلام وأمه العذراء مريم عليها السلام، وشرعت في قراءة الكتاب السماوي (القرآن) ولا سيما الايات التي تخص عيسىٰ المسيح عليه السلام وأمه العذراء عليها السلام. فملكني الاعجاب عن الصفات العظيمة التي يصف القرآن الكريم بها المسيح عليه السلام وأمه، ولم أكد أصدق فأني كنت أعتقد أن المسلمين ـ وكما ذكرت ـ يسيئون إلىٰ المسيح وامه عليهما السلام، ولكني وجدت عكس ذلك تماماً، فالآيات القرآنية التي تتحدث عنهما تذكرهما بكل عظمة ووقار. كما بحثت عن الآيات التي تتحدث عن العقائد المسيحية الاخرىٰ كالتثليث والبنوّة والصلب والفداء وغيرها، فرأيت الادلة القوية التي يقيمها القرآن الكريم علىٰ بطلانها. وفي الحقيقة وبعد هذه المطالعات بدأت أشعر في نفسي بميل نحو هذه الافكار والمعتقدات التي يطرحها الاسلام،

ولكني أخفيت هذا الشعور في داخلي، وكنت أحاول قدر الامكان من خلال لقاءاتي مع المسلمين السؤال عن الشبهات التي كانت تراودني ولكن بصورة لا يفهم منها هذا الميل والشعور.

ومرّت الايام وكنت كلما أطالع وأبحث كان هذا الميل يزداد، فبدأت أعيش قلقاً وأجد في نفسي صراعاً لكنّني لا أدري ماذا أفعل. وفي أحد الأيام سمعت أحد العلماء يتحدث عن موضوع هداية الإنسان وموانعها، وتلا آية قرانية هزتني من اعماقي فكأنها تتحدث عن حالتي بالذات، وهي قوله تعالىٰ: ﴿**فبشّر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه**﴾[1].

وبعدها اشتد هذا الصراع في داخلي أكثر، وملكني القلق والاضطراب، فقد بدأت أشعر بأن عقلي قد بدأ يستسلم لهذه الحجج والادلة التي يطرحها الاسلام، وبدأت أحس أن هذه الاعتقادات الاسلامية هي أقرب إلىٰ فطرتي من عقائد آبائي واجدادي، وكذلك قلبي هو الآخر قد تغير، فبعد معاشرتي للمسلمين الملتزمين عن كثب انكشف لي حبهم وتعظيمهم ليسوع المسيح وامه العذراء عليهما السلام ولا سيما من خلال النقاشات، فهم لم يكونوا يذكرون المسيح أو أمه إلّا واردفوهما بـ: عليه السلام.

وأيضاً بذكرهم الاحاديث الواردة عن نبي الإسلام وأئمة الدين

---

(١) سورة الزمر: آية (١٧ ـ ١٨).

بحق المسيح وامه عليهما السلام من حيث مدحهم وتعظيمهم كل ذلك أدّىٰ إلىٰ أن تتحول تلك البغضاء وذلك الحقد إلىٰ مودة وأنس.

فبدأت أعيش مزيجاً من الفرح والخوف، ولا أبالغ لو قلت أنه كانت تجري في أعماقي معركة حقيقية بين جنود الرحمن وجنود الشيطان، فجنود الرحمن يدفعونني للاستسلام لنداء الفطرة والعقل واتباع الحق الذي انكشف لي، وفي المقابل كانت جنود الشيطان توسوس لي بانك كيف تستطيع أن تترك دين آبائك واجدادك؟ وهل حقاً كانوا جميعهم علىٰ الباطل غافلين عن هذه الحقائق التي أكتشفتها أنت؟ وكذلكالأمر بالنسبة إلىٰ أهلك فهل تستطيع أن تقنعهم بهذه الحقيقة؟ وهل يقبلونك فيما لو عرفوا بأنك قد تركت دينهم واعتنقت الاسلام وأنت تعلم شدة العداوة والبغضاء التي يحملونها إزاء الاسلام؟ فكل هذه الوساوس كانت تعيش في صدري وتقف حاجزاً دون إذعاني للحق.

وراحت هذه المعركة تشتد في داخلي، حتىٰ أذكر أني ولمدة ثلاثة أيام لم أكن اشتهي طعاماً ولا شراباً فكنت لا آكل الّا اذا اشتد بي الجوع، وكذلك أصابتني حالة من الارق في هذه المدة، وفقدت القدرة علىٰ اتخاذ القرار، لا سيما وأنا شاب واتخاذ قرار مصيري في هكذا ظرف يعتبر امراً شبه مستحيل، وفي أحدىٰ الليالي بدأت أتضرع إلىٰ ربي وخالقي ببكاء وبصدق واطلب منه المعونة لإخراجي من هذا

الصراع ومن هذا الارتباك والقلق الذي أجهدني، وفي صباح اليوم التالي شعرت في نفسي بقوة عظيمة لم أعهدها من قبل، وأحسست انشراحاً عجيباً في صدري، حطمت بها كل الحواجز والوساوس التي كان يضعها الشيطان في طريق هدايتي، واتخذت أصعب قرار في حياتي بكل سكينة واطمئنان وقررت أن اعتنق الإسلام واتبع سبيل الحق، وأترك دين آبائي واجدادي التقليدي، فبدأت حياتي الجديدة بهذه الولادة السعيدة.

وعكفت بعد هذا ولسنين علىٰ البحث والمطالعة بشكل دقيق ومكثف، للتعمق في اصول الاسلام وفروعه وارائه واحكامه، وكذلك بالبحث والتدقيق في ديانتي السابقة وبتعمق أكثر، وقمت بالمقارنة بينهما من حيث العقائد والتعاليم فرأيت الحق واضحاً جلياً كنور الشمس، وأيقنت أن العقيدة التي كنت أحملها (المسيحية) فيها من التناقضات ما يأبىٰ العقل عن قبولها فيما كنا نعتبرها أسراراً لأن العقل لا يدركها، كالتثليث والبنوّة والتجسيد وغيرها من العقائد، وعلىٰ العكس من هذا وجدت الإسلام، فكل عقائده تبتني علىٰ أدلة عقلية ولا سيما الاصل الذي تعتمد عليه وهو التوحيد اذ فيه من المعارف الالٰهية ما يجعل الإنسان من خلال فهم تلك المعارف يعيش حياة توحيدية سعيدة في الدنيا قبل الآخرة.

وأعتقد أن التعصب والجهل واتباع الهوىٰ والغفلة هي العوامل

الرئيسية التي تصرف الإنسان عن الاذعان للحق وقبوله.

وإني في هذا البحث سأتطرق إلىٰ العقائد والافكار التي كنت اؤمن بها سابقاً وكما يعتقدها المسيحيون وذلك لنرىٰ مدىٰ صحتها ومطابقتها أو مخالفتها للعقل؟ وكذلك إلىٰ بعض العقائد الإسلامية والاشكالات التي كنت أحملها تجاه الاسلام. علىٰ أني حاولت في هذا البحث قدر الإمكان الابتعاد عن الانفعالية لكي تأتي هذه الدراسة علمية الهدف منها هو كشف بعض الحقائق للقارئ العزيز... والله المسدد للصواب.

الفصل الأول

الكتاب المقدس

العهد القديم

العهد الجديد

عيسى وحياته في العهد الجديد

الصلب والقيامة

الفداء والخطيئة الأصلية

من هو المسيح في العهد الجديد؟

الثالوث الأقدس

الشريعة

الخلاصة

الكتاب المقدس

إنّ الكتاب المقدس ـ كما يعتقد المسيحيون ـ هو مجموع الكتب الموحاة من الله، والمتعلقة بخلق العالم وتاريخ معاملة الله لشعبه وكذلك مجموع النبوءات عما سيكون حتىٰ المنتهىٰ، والنصائح الدينية والأدبية التي تناسب جميع بني البشر في كل الازمنة. وفي الكتاب المقدس جميع أنواع الكتابة من نثر وشعر، وتاريخ وقصص، وحكم وأدب، وتعليم وفلسفة وامثال وانذار[1].

ويبلغ عدد الكتّاب (الملهمين) الذين كتبوا الكتاب المقدس أربعين كاتباً. وهم من جميع الطبقات، فبينهم الراعي والصياد وجابي الضرائب والقائد والنبي والسياسي والملك و....

وقد استغرقت مدة كتابة الكتاب المقدس ألفاً وستمائة سنة، وكان جميع هؤلاء الكتاب من الامة اليهودية ما عدا لوقا كاتب

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٧٦٢.

الإنجيل الذي دعي باسمه إذ يظن أنه كان أممياً من أنطاكية، والنسخ الاصلية للكتاب المقدس ليست موجودة الآن، بل كل ما هو موجود هو نسخ مأخوذة عن ذلك الاصل.

ويعتقد المسيحيون كذلك أن الكتاب المقدس ـ باعتباره أصل الايمان المسيحي ومصدره ـ خال من الاخطاء والزلل وفيه كل ما يختص بالايمان والحياة الروحية، وأنه كلمة الله وقاعدة الايمان والحياة العملية لجميع البشر[1].

وينقسم الكتاب المقدس إلىٰ عهدين:

١ ـ العهد القديم.

٢ ـ العهد الجديد.

وسوف نبحث في كل من هذين العهدين بشكل مستقل، ولأن المسيحيين يعتقدون أن العهد القديم كان تمهيداً للعهد الجديد وأن العهد الجديد هو المتمم له، فهو أكثر أهمية من العهد القديم لذا سنتوسع فيه أكثر.

---

(١) مقدمة الكتاب المقدس.

العهد القديم

كتب أكثر العهد القديم باللغة العبرانية، وقد وجدت بعض الفصول بالارامية وهي لغة شبيهة بالعبرانية، والعهد القديم الموجود بين ايدينا مأخوذ عن النسخة الماسورية التي أعدتها جماعة من علماء اليهودية في طبرية من القرن السادس إلىٰ الثاني عشر للميلاد(١).

ويتألف العهد القديم من (٣٩) سفراً أو (٤٣ ـ ٤٤) سفراً حسب الكنيسة وذلك بأضافة أسفار أو أجزاء أسفار وصفت «بالقانونية ـ اللاحقة»... وقد قسم اليهود أسفار العهد القديم إلىٰ ثلاثة أقسام وهي:

١ ـ التوراة أو الناموس. ٢ ـ الانبياء، وهم الاولون والمتأخرون ٣ ـ الكتب. وذلك في اجتماع لمعلّمي الشريعة من مختلف البلدان في

---

(١) قاموس الكتاب المقدس: ص٧٦٣.

فلسطين سنة ٩٠ (ب.م)[١].

واما ترتيبها فهي كالآتي:

أ ـ التوراة أو الناموس: وهي أسفار موسىٰ عليه السلام الخمسة وهي:

١ ـ تك: لسفر التكوين: وهو الأوّل من التوراة ويسمىٰ أيضاً بسفر (الخليقة) بمقتضىٰ تسمية الترجمة السبعينية، ويسمىٰ في العبرانية (جرنشيت).

٢ ـ خر: لسفر الخروج، وهو الثاني بتسمية السبعينية، وفي العبرانية يسمىٰ (واله شموت).

٣ ـ لا: لسفر اللاويين، وهو الثالث بتسمية السبعينية، وفي العبرانية يسمىٰ (ويقرا).

٤ ـ عد: لسفر العدد وهو الرابع بتسمية السبعينية، وفي العبرانية يسمىٰ (ويدبر).

٥ ـ تث: لسفر التثنية وهو الخامس بستمية السبعينية، وفي العبرانية يسمىٰ (اله) ويسمىٰ أيضاً دباريم.

وأما بقية الأسفار فهي:

٦ ـ يش: لسفر يشوع النبي.

---

(١) مقدمة الكتاب المقدس.

٧ ـ قض: لسفر القضاة.

٨ ـ (را) لكتاب راعوث.

٩ ـ ١، اصم: لسفر صموئيل الأوّل.

١٠ ـ ٢، اصم: لسفر صموئيل الثاني.

١١ ـ ١، امل: لتاريخ الملوك الأوّل.

١٢ ـ ٢، مل: لتاريخ الملوك الثاني.

١٣ ـ (١ أى) لتاريخ الايام الاولىٰ.

١٤ ـ (٢ أى) لتاريخ الايام الثاني.

١٥ ـ (عز) لكتاب عزرا.

١٦ ـ (نح) لكتاب نحيا.

١٧ ـ (اس) لكتاب لكتاب استير.

١٨ ـ (اى) لكتاب أيوب.

١٩ ـ (مز) لمزامير داود أي الزبور.

٢٠ ـ (ام) لامثال سليمان.

٢١ ـ (جا) لكتاب الجامعة المنسوب لسليمان.

٢٢ ـ (نش) لنشيد الانشاد.

٢٣ ـ (اش) لكتاب أشعيا.

٢٤ ـ (ار) لكتاب أرميا

٢٥ ـ (حرا) لمرائي أرميا.

٢٦ ـ (حز) لكتاب حزقيال.

٢٧ ـ (دا) لكتاب دانيال.

٢٨ ـ (هو) لكتاب هوشع.

٢٩ ـ (يوء) لكتاب يوئيل.

٣٠ ـ (عا) لكتاب عاموس.

٣١ ـ (عو) لكتاب عوبديا.

٣٢ ـ (يون) لكتاب يونان أي يونس بن متي.

٣٣ ـ (مي) لكتاب ميخا.

٣٤ ـ (نا) لكتاب ناحوم.

٣٥ ـ (حب) لكتاب حبقوق.

٣٦ ـ (صف) لكتاب صنفينا.

٣٧ ـ (حج) لكتاب حجي.

٣٨ ـ (زك) لكتاب زكريا.

٣٩ ـ (مل) لكتاب ملاخي.

ولهذه الكتب في النسخ العبرانية ترتيب آخر من حيث التقديم والتأخير [١].

وأما الاسفار (القانونية ـ اللاحقة) فهي:

١ ـ سفر طوبيا.

---

(١) الهدىٰ إلىٰ دين المصطفىٰ: ص٧.

٢ ـ سفر يهوديت.

٣ ـ سفر نبوءة باروك.

٤ ـ سفر المكابين[١].

والكنيسة تعتبر أسفار العهد القديم أسفاراً قد دونت بالهام روح القدس، وعلىٰ هذا فهي تقبله في عداد الكتب المقدسة، مع أن هناك أختلافاً بين العهد القديم عند اليهود والذي قبلته الكنيسة، ويعود هذا الاختلاف، إلىٰ اختلاف اللاهوتيين اليهود أنفسهم، فالبعض يصرحون فيالواقع أن الروح (أي روح الله الذي يوحي) لم ينزل علىٰ أحد منذ غياب الانبياء المتأخرين مثل: حجي وزكريا وملاخي، وبعض الفئات الأخرىٰ من اليهود (الأسانيين قي قمران، واليهود المتشتتين في المعمورة) تمسكوا باستمرارية الوحي. والكنيسة تمسكت بدورها بهذه الاستمرارية مستندة في ذلك إلىٰ شهادة المسيح عليه السلام والرسل.

وأيضاً تتمسك بالترجمة (السبعينية)[٢] وهي (ترجمة يهود

---

(١) كتاب (المسيح في الفكر الاسلامي الحديث وفي المسيحية) ص١١١.

(٢) (الترجمة السبعينية): (التي بدأت سنة ٢٥٠ وانتهت حوالي ١٥٠ ق. م وقد بدأت هذه الترجمة بأمر بطليموس فيلادلفوس الذي حكم مصر عالم ٢٨٠ ق. م وقيل ان عدد هؤلاء المترجمين كان اثنين وسبعين ولهذا دعيت بالسبعينية.

وكان اليهود يزعمون أن الله اوحىٰ للعلماء الذين قاموا بالترجمة السبعينة بكلمات هذه الترجمة، ولكن عندما أخذ المسيحيون يستشهدون بآياتها ضد =

الاسكندرية للعهد القديم إلىٰ اللغة اليونانية ويعتبرونها كتابهم الخاص) لنفس السبب[١].

واعتقاد أرباب الكنيسة بأن العهد القديم كتاب سماوي وموحىٰ يستندون فيه الى استشهاد المسيح عليه السلام والرسل بالعهد القديم فهم كانوا يعتبرونه كتاباً ملهماً، روحياً، الهياً والاستشهاد به دليل علىٰ ذلك[٢].

ويتضح من هذه المقدمة أن اسفار العهد القديم قد ظهرت للوجود تدريجياً ولمدة حوالي خمسة عشر قرناً لتؤلف لنا العهد القديم، وأن المسيحيين يرون أن هذا العهد كله كان تمهيداً وبشارة بمجيء يسوع المسيح عليه السلام ويستشهدون بنبوءات كثيرة جاءت فيه وتحققت هذه النبؤات في المسيح عليه السلام.

وفي الحقيقة فأني لست في صدد البحث في العهد القديم وتاريخه بشكل مفصل هنا، وان شاء الله سوف نقدم بحثاً مستقلاً عن الكتاب المقدس بعهديه نتطرق فيه إلىٰ العهد القديم بشكل موسع، ولكن لا بُدّ هنا من الأشارة إلىٰ بعض النقاط التي أوقفتني من خلال الدراسة فيه ومنها:

=العادات والتعاليم اليهودية التي كانت سائدة في عصرهم عاد اليهود إلىٰ الاصل العبراني واهملوا هذه الترجمة). قاموس الكتاب المقدس: ٧٦٨.

(١) المسيح في الفكر الاسلامي: ص١١٠.

(٢) نفس المصدر.

١ ـ أن هذه الاسفار (المقدسة) قد كتبت خلال فترة خمسة عشر قرناً تقريباً أو أكثر ومعظم النصوص الاصلية أو كلها مفقودة الآن، اضافة إلىٰ هذا فان الكثير منها لا يعرف مؤلفوها فهي مجهولة ولا من هو ناسخها ومتىٰ كتبت، والنسخ المتوفرة مأخوذة عن نسخ أصلية كما يعتقد في أحسن الاحوال، فهل يمكن القول بأن الناسخ لهذه الكتب الجديدة لم يُخطئ، ولا سيما عند القول بأن هذه الكتب مترجمة من اللغة العبرية إلىٰ اللغات الاخرىٰ؟!

وهل هذه الترجمة ـ كما كان يعتقد اليهود في الترجمة السبعينية ـ أنما تمت بوحي من الله تعالىٰ أم لا؟

ولهذا أعتقد أن هذه الكتب والاسفار التي بين ايدينا الآن من العهد القديم لا يمكن الاعتماد عليها بشكل قاطع ويقيني ولا يمكن الاطمئنان من انها لم تتسرب اليها الاخطاء اذ ينقل في قاموس الكتاب المقدس ما نصه «وكل ما وصل إلينا هو نسخ مأخوذة عن ذلك الاصل. ومع أن النساخ قد اعتنوا بهذه النسخ اعتناءً عظيماً فقد كان لا بُدّ من تسرب بعض السهوات الاملائية الطفيفة جداً إليها»[١]. فعلىٰ أقل تقدير هناك شك في أن هذه النسخ الموجودة هي نفس النسخ الاصلية، ولذا نرىٰ الاختلافات القائمة بين علماء الكتاب المقدس حول هذه الأسفار.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس: ص٧٦٣.

٢ ـ نحن باعتبارنا مؤمنون بـالله ورسـالاته وعـلىٰ اخـتلاف المذاهب والاديان نعتقد بأن الانبياء الالٰهيين هم من افضل البشـرية ولهذا نستطيع القول بأنهم صـالحون وعـلىٰ الاقـل مـعصومون مـن الذنوب والخطايا التشريعية، ولكننا للأسف نجد في هـذه الأسـفار، وفي مواضع كثيرة نسبة هذه المعاصي والخطايا الكبيرة لهؤلاء الانبياء العظام، كشربهم للخمر والزنا بالمحارم وغير ذلك من الامور التي يأبىٰ كل مؤمن شريف التفكير بها فضلاً عن مزاولتها، وها انا اذكر بـعض الامثلة علىٰ هذا ومن اراد التوسع فليطالع العهد القديم.

ينقل في العهد القديم أن النبي لوط عليه السلام قـد شـرب الخـمر وسكر ومن ثم ارتكب خطيئة الزنا مع من حرم عـليه الزواج مـنهن (بناته) ومن ثم حملن مـنه (انـظر: سـفر التكـوين (١٩ ـ ١ ـ ٣٨)، وكذلك ينقل عن النبي سليمان عليه السلام الذي كان مملوءاً بـالحكمة، أن السنوات الأخيرة من حكمه كانت مؤسفة، فقد بدأ بتعدد الزوجات، واحب نساء كثيرات إضـافة إلىٰ بـنت فـرعون (زوجـته) فكـان له سبعمائة من الزوجات وثلاثمائة من السراري استطعن أن يميلن قلبه إلىٰ الالهة الغريبة حتىٰ بنىٰ أماكن لعبادة الاوثان أيضاً، إرضاءً لهـن فغضب الرب عليه أنظر (١ ملوك: ١١: ١ ـ ٢٥).

وكذلك قصة نوح النبي عليه السلام إذ ينقل في العهد القديم أنه صنع مسكراً وشربه وسكـر فكشـف عـورته أمـام أولاده فـغطوه. انـظر

التكوين: ٩: ١ ـ ٢٩) وقصة يعقوب ومصارعته مع الرب وغيرها من القصص الاخرىٰ تجعلنا نعتقد أن هذه الاسفار قد دخلت فيها بعض التحريفات التي تدفعنا للاعتقاد بأن هذا العهد القديم الموجود بين أيدينا وعلىٰ أقل تقدير ليس كله وحياً إلهياً.

إضافة إلىٰ هذا، هناك بعض القصص العجيبة التي يرفضها العقل مثلاً [(فالأنبياء يتعرّون) ـ «وفيما شاوُل ذاهب إلىٰ هناك حلّ عليه روح الله فأخذ يتنبأ طول الطريق ونزع أيضاً ثيابه وتنبأ أيضاً امام صموئيل وانطرح عرياناً كلّ ذلك النهار وليله لذلك يقال شاوُل أيضاً من الأنبياء»]. (انظر: اصم: ١٩: ٢٠ ـ ٢٤)

وأيضاً أشعيا « ٢٠: ١ ـ ٦) فالنبي أشعيا (مشىٰ عارياً حافياً لمدة ثلاث سنين، كذلك يمشون سبايا مصر عراة حفاة مكشوفة مؤخراتهم» وغيرها الكثير.

٣ ـ من المسائل التي يمكن ذكرها أيضاً كثرة التناقضات الموجودة فيها، ففي القصة الواحدة مثلاً نرىٰ أن بعض الأسفار تخالف الاسفار الاخرىٰ بل ونجد في السفر الواحد بعض التناقضات ففي سفر التكوين ينقل عن قصة نوح والسفينة بأنه أمر أن يأخذ معه من كل ذي جسد اثنين ذكراً وأنثىٰ. أنظر (تك ٦: ١٩ ـ ٢٠) وفي نفس السفر يأتيه الامر «أن تأخذ سبعة سبعة ذكراً وأنثىٰ». أنظر (تك ٧: ٢ ـ ٣) وأمثال هذا كثير في أسفار العهد القديم، وهو ما يقودنا إلىٰ القول

بأنه هذه الاسفار من وحي ونتاج الخيال البشري ويستحيل قبولها علىٰ أنها وحي إلهي.

وأكتفي بهذا المقدار من الحديث عن العهد القديم، علىٰ أمل أن أوفق للبحث فيه بشكل مستقل وموسع إن شاء الله في المستقبل القريب.

العهد الجديد

أن كتاب العهد الجديد له مكانته الخاصة عند المسيحيين، فهو يعتبر متمماً ومصدقاً لما جاء في العهد القديم، وهو الاساس لكل العقائد المسيحية ولهذا فأني سأحاول التوسع فيه بعض الشيء.

ويعتقد بعض علماء الكتاب المقدس أن العهد الجديد قد كتب بلغة يونانية تسمىٰ (بالكوني) وهي اللغة العامية ممزوجة ببعض الاصطلاحات العبرانية، واهم النسخ الكاملة من العهد الجديد هي النسخة السينائية والنسخة الفاتيكانية إذ يعتقد أنهما كتبتا في القرن الرابع الميلادي، وكذلك النسخة الاسكندرانية المكتوبة في القرن الخامس الميلادي[1].

ويتألف العهد الجديد من (٢٧) سفراً وهي: ـ الاناجيل الاربعة واعمال الرسل وعدة رسائل لبولس وبطرس ويعقوب ويهوذا ويوحنا

---

(١) قاموس الكتاب المقدس: ص٧٦٣.

مع رؤية يوحنا، وإليك نبذة تاريخية مختصرة عن كل واحد من هذه الاسفار.

(الأناجيل الأربعة)

١ ـ **إنجيل متي**: وهو أوّل الاناجيل ويرجح أن يكون كاتبه هو الرسول متي أحد الاثني عشر رسولاً، وهو لاوي بن حلفي وكان عشاراً يجمع الأموال للحكومة الرومانية. وقد أختلف القول بخصوص هذا الإنجيل في لغته وزمان تأليفه فذهب البعض إلىٰ أنه كتب أوّلاً بالعبرانية أو الآرامية (التي كانت لغة فلسطين في تلك الايام) وترجم بعد ذلك إلىٰ اليونانية، وذهب آخرون إلىٰ انه كتب باليونانية كما هو الآن. وأما زمان تأليفه فقد أختلف فيه أيضاً إذ يحتمل أنه كتب بين ٣٧ إلىٰ ٦٣ ميلادي[١]. ويسمىٰ هذا الإنجيل مع أنجيلي مرقس ولوقا بالاناجيل المتوافقة أو الازائية وذلك لأنها متشابهة إلىٰ حد كبير.

ويتميز هذا الإنجيل عن الاناجيل الثلاثة الباقية بأنه يحكي حوادث وأمثالاً لا توجد في الاناجيل الاخرىٰ، كما إنّه الإنجيل الوحيد الذي يشير إلىٰ الكنيسة ويذكرها بأسم (الكنيسة) علىٰ وجه التخصيص.

٢ ـ **إنجيل مرقس**: ويعتقد بأن مؤلف هذا الإنجيل هو مرقس

---

(١) نفس المصدر مادة متي ص٨٣٣.

أحد تلامذة بطرس الرسول، فهو ليس من تلاميذ السيّد المسيح عليه السلام.

وكان الاعتقاد السائد في اواخر القرن الأوّل الميلادي أن هذا الإنجيل قد كتب في روما ووجه إلىٰ المسيحيين الرومانيين.

فقد كتب بابيوس مستنداً إلىٰ ما استقاه من يوحنا الرسول: «هذا أيضاً ما قاله الشيخ إن مرقس وقد كان مفسراً لبطرس ومترجماً لارائه، سجل جميع الاشياء التي تذكرها من أقوال المسيح عليه السلام واعماله وذلك لأنه لم يسمع الرب (يسوع) ولا كان من اتباعه ولكنه أتبع بطرس فيما بعد[1].

وأما تاريخ هذا الإنجيل فهو يتراوح بين سنة ٦٤م وسنة ٧٠م. وفي هذا الصدد يقول الأب (ايرينيوس) أحد آباء الكنيسة الاولين أن مرقس كتب البشارة التي تحمل اسمه قائلاً «بعد أن نادىٰ بطرس وبولس بالإنجيل في روما وبعد انتقالهما سلم لنا مرقس كتابة مضمون ما نادىٰ به بطرس وعلىٰ هذا يحتمل كتابة هذا الإنجيل بين عام ٦٥م و٦٨م[2].

ومرقس هذا كما زعم البعض فهو الشاب الذي تبع يسوع لما أخذه اليهود في بستان الزيتون وأقاموا الدليل علىٰ ذلك أن مرقس إنفرد برواية ما جرىٰ لذلك الشاب وكأنه يريد أن يشير إلىٰ نفسه

---

(١) قاموس الكتاب المقدس مادة مرقس: ص٨٥٤.

(٢) نفس المصدر.

فيقول:

«وتبعه شاب ليس عليه غير إزار فامسكوه. فتخلىٰ عن الازار وهرب عرياناً (إنجيل مرقس ١٤: ٥١ ـ ٥٢). وكان مرقس نسيب الرسول برنابا، أحد وجهاء كنيسة أورشليم القدس وكبار المبشرين بالإنجيل وكان ابن امرأة اسمها مريم ساكنة في أورشليم والظاهر أنّه اهتدىٰ إلىٰ الايمان المسيحي بواسطة خدمة بطرس الذي كان يتردد علىٰ بيت أمه، وصاحب بولس وبرنابا في أورشليم إلىٰ انطاكية، ولكنه فارقهما لأسباب لم تعرف[1]. ويعتبر إنجيل مرقس أقصر الاناجيل الاربعة.

٣ ـ إنجيل لوقا:

حسب الاعتقاد السائد في القرن الثاني للميلاد فأن كاتب هذا الإنجيل هو لوقا وهو رفيق وصديق بولس، ويحتمل أيضاً أنه كاتب سفر أعمال الرسل، ولهذا فما هو معروف عنه مأخوذ من سفر الاعمال حيث يذكر أنه كان مع بولس في قسم من أسفاره. ولد لوقا من أبوين يونانيين في أنطاكية ـ سورية ـ وكان يمارس الطب وزعم البعض أنه كان رساماً، وتتلمذ لبولس وكان غالباً في صحبته إلىٰ أن استشهد بولس فتركه، إلّا أنه لا يعرف أين قضىٰ بقية عمره ولا أين مات غير

---

(١) تفسير العهد الجديد: ص٨٨.

أن الكنيسة تكرمه تكريم الشهداء[١].

وكتب هذا الإنجيل باللغة اليونانية، وأما تاريخ كتابة هذا الإنجيل فيعتقد أن أعمال الرسل قد كتب بعد كتابة الإنجيل بوقت قصير، ويرجح أن سفر أعمال الرسل كتب سنة ٦٢ أو ٦٣ ميلادية ولهذا يحتمل علماء الكتاب المقدس أنه مكتوب في سنة ٦٠ ميلادية تقريباً. كما قد ورد في هذا الإنجيل بعض الحوادث التي لم تذكر في غيره من الاناجيل. ويظهر من مقدمة إنجيله أنه لم يكن معايناً للحوادث التي كتبها بل ألف إنجيله من شهادة الذين عرفوا السيّد .

ومما يختص به هو نقل الحوادث التي جرت قبل ولادة المسيح عليه السلام. وبعدها والظاهر أنه اخذها عن كتابة ربما نقلت عن أم الربّ (مريم) لأنّه لم يعرف أحد غيرها كثيراً مما ذكر بهذا الشأن[٢].

٤ ـ إنجيل يوحنا: وهو الإنجيل الرابع والذي يختلف كثيراً عن الاناجيل الثلاثة إذ يعتقد أن ٩٠٪ من هذا الإنجيل غير موجود في الاناجيل الثلاثة، وهو من أكثر الاناجيل التي دارت حولها الشكوك بين علماء الكتاب المقدس، فذهب البعض إلىٰ أن كاتبه هو يوحنا ابن زبدي الرسول وأحد التلاميذ المقربين جداً ليسوع المسيح عليه السلام، ويذكر المؤرخون أن يوحنا الرسول كان تلميذاً ليوحنا المعمدان

---

(١) المسيح في الفكر الاسلامي: ص١٢٧.

(٢) تفسير العهد الجديد: ص ٣٠.

(يحيىٰ) عليه السلام ومن ثم دعاه عيسىٰ عليه السلام فاتبعه وأخيه يعقوب، فأصبح هو ويعقوب وبطرس من التلامذة المقربين ليسوع عليه السلام.

وينقل أيضاً إن كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الشيخ ويعتقد أنه (يوحنا الشيخ) هو نفسه يوحنا الرسول. وقد ذكر أن الهدف من كتابة هذا الإنجيل هو تثبيت الكنيسة الاولىٰ في الايمان بحقيقة لاهوت المسيح عليه السلام وناسوته ودحض البدع المضلّة التي كان فسادها آنذاك قد تسرب إلىٰ الكنيسة، كبدع الدوكنيين، والغنوسيين وغيرها[١].

ويوحنا هذا مع أنه هرب مع بقية التلاميذ لما أمسك بالمسيح عليه السلام ولكنه كما ينقل يوحنا في إنجيله (١٩ ـ ٢٦) أودعه المسيح عليه السلام العناية بأمه العذراء مريم عليها السلام.

ويشكك بعض علماء العهد الجديد في صحة نسبة هذا الإنجيل إلىٰ يوحنا، إذ ينقل (برطشنيدر) «إن هذا الإنجيل كله وكذا رسائل يوحنا ليست من تصنيفه، بل إنما صنفه بعضهم في ابتداء القرن الثاني ونسبه إلىٰ يوحنا ليعتبره الناس». ورجح البعض الاخر أن هذا الإنجيل هو من تأليف طالب من طلبة الاسكندرية. وأما زمن كتابة هذا الإنجيل فيحتمل أنه كتب بين سنة ٩٦ ـ ١٠٠ ميلادية.

وإذا عُرف زمان شهادة يوحنا الرسول لأمكن معرفة صحة انتساب هذا الإنجيل إليه أو لا، ولكن في زمن شهادته إختلاف أيضاً،

---

(١) قاموس الكتاب المقدس: ص١١١٠.

إذ يقول البعض أنه استشهد سنة ١٠٠ ميلادية، بينما يعتقد آخرون أنه كان سنة ٧٠ ميلادية.

وأما مضمون هذا الإنجيل فأنه يختلف تماماً عن بقية الاناجيل كما ذكرنا، إذ إنه يجسد بوضوح الناحية الالٰهية من حياة يسوع المسيح عليه السلام. والمسيحيون يعتمدون علىٰ هذا الإنجيل في اثبات ألوهية المسيح عليه السلام أكثر من بقية الاناجيل، إضافة إلىٰ ذلك فانه ينقل للمسيح عليه السلام بعض المعاجز التي لم تذكر في أي من الاناجيل السابقة.

سفر اعمال الرسل

هذا هو عنوان السفر الخامس من أسفار العهد الجديد. وترجع هذه التسمية إلىٰ القرن الثاني الميلادي، وفي الحقيقة فأن هذا الأسم لا يدل علىٰ أن السفر يذكر كل أعمال الرسل، بل القصد من السفر هو إظهار كيفية تأسيس الكنيسة المسيحية، وانتشار المسيحية بين اليهود.

وابرز شخصية في القسم الأوّل من السفر هي شخصية بطرس الرسول رئيس الكنيسة، واما الشخصية البارزة في القسم الثاني من السفر فهي شخصية بولس.

اضافة إلىٰ ذلك فأن السفر يذكر شخصيات واعمال غيرهما من الرسل في مناسبات عدة.

والسفر معنون باسم رجل يدعىٰ ثاوفيليس، وهو نفسه الذي كان قد أهداه الإنجيل. ويعتقد أن مؤلف هذا السفر هو نفسه لوقا الإنجيلي، وقد كتب بين سنة ٦٤ ـ ٧٠ ميلادية، باللغة اليونانية التي كتب بها إنجيل لوقا.

الرسائل

وتتألف الرسائل من قسمين رئيسين، أولهما رسائل بولس وثانيهما الرسائل العامة.

رسائل بولس: نرىٰ من الضروري قبل كل شيء التعريف بشخصية بولس فنذكر نبذة مختصرة عن حياته:

أن المعلومات المتوفرة عن شخصية بولس موزعة بين سفر اعمال الرسل ورسائله.

ولد بولس في طرسوس من قيلقيية في السنة العاشرة للميلاد تقريباً، وكان أبوه يهودياً من سبط بنيامين، وكسائر صبيان اليهود تعلم حرفة صنع الخيام للاكتساب منها، وبدأ تحصيله في طرسوس التي كانت مركزاً علمياً إذ كانت مركزاً للفسلفة الرواقية التي ظهر تأثيرها في كثير من تعبيرات بولس عن المبادئ المسيحية.

وسافر بولس إلىٰ أورشليم ـ القدس وعمره ٢٠ أو ٢٢ سنة

حينما شرع المسيح برسالته[١].

وبولس له أسمان الأوّل عبري وهو شاؤل ومعناه (المطلوب) وهو المذكور في اعمال الرسل حتىٰ الفصل الثالث عشر. والآخر بولس ومعناه (الصغير) وهو المذكور في بقية فصول سفر اعمال الرسل وفي كل الرسائل.

وحضر في أورشليم عند احد أكابر علماء الشريعة اليهودية وأسمه (جملاييل): وكانت له ثقافة يونانية ـ رومانية إضافة إلىٰ ثقافته اليهودية، وكان يعرف اللغة الآرامية والعبرية واليونانية[٢]. وكان حاراً حاذقاً شديد الانفعال، وكان من طبعه أنه لا ينقاد إلىٰ الاتفاق مع الذين يخالفونه، علىٰ أن الله قهر عنفه الطبيعي وحدّة خلقه[٣].

والنقطة المهمة والمتيقن منها في حياة بولس هي أنه تبوّأ مكانة عند علماء اليهود، وعند ظهور الدعوة المسيحية شن حرباً شعواء ضد المسيحيين، فقد كان يضطهدهم كثيراً، وكان من الذين ساقوا التهم إلىٰ أول شهيد في المسيحية (استفانوس)! فكان شخصاً متعصباً لليهودية، وكان له النصيب الاوفر في ملاحقة أتباع المسيح عليه السلام وقطع دابرهم، ولم يكتف بملاحقتهم في أورشليم بل لاحقهم خارجها أيضاً.

فالتمس من عظيم الاحبار في أورشليم رسائل إلىٰ مجامع

---

(١) قاموس الكتاب المقدس: ص١٩٦.

(٢) المسيح في الفكر الاسلامي: ص١٣٩.

(٣) تفسير العهد الجديد ص٣٧٥.

دمشق حتىٰ يسوق إلىٰ أورشليم كل من كان علىٰ هذه الملّة، وفي طريقه إلىٰ دمشق وحسب سفر اعمال الرسل: تراءىٰ له يسوع المسيح عليه السلام وقاله له «شاول، شاول لماذا تضطهدني» فانقلب حاله ثم دخل دمشق وبعد ثلاثة أيام جاءه حننيا وعمده، فتحول بولس من مضطهد إلىٰ مناصر للمسيحية، وبعدها أختاره المسيح عليه السلام ليبشر بالعقيدة المسيحية إلىٰ الوثنيين.

فبدأ تبشيره إلىٰ جميع الامم في آسيا وأوربا فذهب إلىٰ بلاد العرب وفلسطين وسوريا ولبنان وتركيا ويونان وقبرص وروميه وربما أيضاً اسبانيا، وكانت خاتمة حياته أنه استشهد في روما سنة ٦٧م (١).

وفي الحقيقة نستطيع القول أن بولس هذا صار الرجل الأوّل في المسيحية بعد يسوع عليه السلام إذ انه ارتفع صيته وشهرته حتىٰ علىٰ الرسل الاثني عشر، وترجع أغلب عقائد المسيحية اليه وسنشير إلىٰ ذلك لاحقاً أن شاء الله تعالىٰ.

ولم يكتب بولس أكثر هذه الرسائل بل املاها علىٰ غيره وكثيراً ما كان يخرج عن موضوعه لسبب عروض كلمة أو أمر تذكره أو كان يخشاه (٢).

---

(١) لاحظ سفر اعمال الرسل ورسائل بولس.

(٢) تفسير العهد الجديد: ص ٣٧٤.

وأما رسائله فهي:

١ ـ **رسالته إلىٰ أهل رومية**: كتبها إلىٰ المسيحيين القاطنين في رومية، ويحتمل أنها كتبت شتاء سنة ٥٨م.

٢ ـ **رسالته إلىٰ أهل تسالونيكي الأولىٰ**: ويحتمل انها كتبت بين سنة ٥٢ ـ ٥٣ ميلادية وكتبها في كورنثوس.

٣ ـ **رسالته إلىٰ أهل تسالونيكي الثانية**: وهي كتبت بعد الرسالة الاولىٰ بفترة قصيرة.

٤ ـ **رسالته إلىٰ أهل غلاطية**: وكتبت في أفسس سنة ٥٤ ـ ٥٧ ميلادية.

٥ ـ **رسالته إلىٰ أهل كورنثوس الأولىٰ**: يرجح انها كتبت في سنة ٥٧ ـ ٥٨ ميلادية. في أفسس ومكدونية.

٦ ـ **رسالته إلىٰ أهل كورنثوس الثانية**: وكتبت بعد الأولىٰ بفترة قليلة.

٧ ـ **رسالته إلىٰ أهل كولوسي وافسس وفيلبي وفليمون**: وكتبت سنة ٦١ ـ ٦٣م في رومية.

٨ ـ **رسالته إلىٰ أهل فيلبي**: وكتبت سنة ٦٣م أو بعد ذلك بقليل.

٩ ـ **رسالته إلىٰ أهل كولوسي**: وكتبت علىٰ ما يظن سنة ٦٣م.

١٠ ـ رسالته إلىٰ أهل فليمون: كتبت بين ٦٣م ـ ٦٤م.

١٣ ـ رسالته إلىٰ تيطس: وهو رفيقه وكتبت سنة ٦٤م ـ ٦٧م.

٨١ ـ رسالته إلىٰ تيموثاوس الأولىٰ: كتبت بين سنة ٦٤ ـ ٦٦ ميلادية من مقدونية.

١٢ ـ رسالته إلىٰ تيموثاوس الثانية: وكتبت سنة ٦٧ ميلادية ـ من رومية.

هذه هي بأختصار الرسائل المنسوبة إلىٰ بولس، وحسب تاريخ كتابتها فهي مكتوبة علىٰ وجه التقريب قبل الاناجيل الأربعة، باللغة اليونانية الدارجة في عصره، ولقد أصبحت هذه الرسائل من أهم مراجع الديانة المسيحية لمعرفة عقيدتها، وهذا ما جعل كثيراً من الآباء القديسين والعلماء قديماً وحديثاً يكتبون عنها ويعلقون عليها.

واضافة إلىٰ هذا فأن هناك العديد من الرسائل الأخرىٰ لبولس ولكنها فقدت ولم تصل إلينا[١].

الرسالة إلىٰ العبرانيين:

وهذا السفر يعتبر غامضاً من جهة تأليفه، إذ لا يوجد بين علماء الكتاب المقدس إجماع أو إتفاق علىٰ حقيقة كاتب الرسالة، ومنذ عهد آباء الكنيسة الاولىٰ والجدال يدور حول اسم الكاتب لهذا السفر، فقد اعتبرتها الكنيسة الشرقية من وضع بولس، مع أن فيها مادة وأسلوباً

---

(١) المسيح في الفكر الاسلامي: ص١٤٠.

يختلف عن باقي كتابات بولس.

وفي العصر الحاضر أجمع العلماء علىٰ أنها ليست من تأليف بولس.

واعتقد (كليمنت الاسكندري) أن لوقا ترجمها عن النسخة الاصلية التي كتبها بولس بالعبرانية، أما الكنيسة الغربية فقد شككت في أنها من وضع بولس، وقال طرطوليان انها من وضع القديس برنابا، وذكر (اوريجينس) المصري (القرن الثالث) أن كاتبها هو (أبلّس) الذي جاء أسمه في سفر اعمال الرسل(١٨ ـ ٢٤)ـ.

وبالرغم من كل هذا بقي الاختلاف في مؤلف هذا السفر إلىٰ يومنا هذا، ولكن الكنيسة اعترفت بها وادرجتها ضمن الاسفار الملهمة[١]. وكذلك تاريخ كتابتها فهو الاخر مجهول ويعتقد أنها كتبت في أيطاليا لأنه قد ذكر ذلك في السفر نفسه إذ ورد فيه: «يسلم عليكم الذين في أيطاليا» (١٣ ـ ٢٤).

رسالة يعقوب: وهي منسوبة للقديس يعقوب الذي لعب دوراً كبيراً في كنيسة أورشليم إذ أصبح أول اساقفتها بعد رحيل بطرس إلىٰ أنطاكية، ويحتمل انها كتبت بين ٥٠ ـ ٦٠ ميلادية، وهي تحتوي علىٰ حكم ونصائح وتعليمات للسلوك المسيحي، وهي لا تشبه الرسائل في العهد الجديد بل هي أشبه بنسق الانبياء في العهد القديم.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٩٨.

وليس في الرسالة أشارة إلىٰ آلام يسوع وقيامته، ولم تبدأ بتحيات وتنتهِ ببركات رسولية كبقية الرسائل. وقد أعترض علىٰ هذا السفر لوثر إذ يقول أنها تناقض تعليم بولس عن التبرير بالايمان والمحبة للمخلص يسوع عليه السلام [1]. فأن يعقوب يؤكد علىٰ الايمان والعمل معاً انظر (٢: ١٤) «ما المنفعة يا أخوتي أن قال أحد أن له إيماناً ولكن ليس له أعمال هل يقدر الايمان أن يخلصه، ان الايمان بدون أعمال ميت».

رسالتا بطرس: أن كاتب هاتين الرسالتين هو بطرس الرسول ويتضح ذلك من مقدمتهما.

وكان هذا الرسول يسمىٰ سمعان وابوه يونا (مت ١٦ ـ ١٧) وقد سماه المسيح عليه السلام بعد متابعته أياه بطرس أي (صخر) وكما أختاره رئيساً للكنيسة. وكانت مهنته صيد السمك وكان مقيماً في كفر ناحوم، ويرجح أنه كان أحد تلاميذ يوحنا المعمدان (يحيىٰ) عليه السلام وقد جاء به إلىٰ المسيح عليه السلام أخوه اندراوس الذي كان من المقربين ليوحنا المعمدان.

وصار بطرس بسبب حماسته ونشاطه وغيرته الأوّل من بين التلاميذ الاثني عشر منذ البداية، حيث كان اسمه يذكر دائماً في المقدمة عند ذكر أسماء الرسل. وكما أوصىٰ المسيح عليه السلام فقد قاد

---

(١) قاموس الكتاب المقدس: ص١٠٧٧.

بطرس بعد رفع المسيح عليه السلام التلاميذ والمؤمنين إلىٰ سد الفراغ في عدد الرسل بانتخاب بديل ليهوذا (١ع: ١ ـ ١٥)، ولكنه بعد فترة بدأ يختفي متخذاً له مكاناً متواضعاً بعد أن ترك أورشليم وراح يواصل رحلاته التبليغية مع زوجته من مكان لآخر.

وللأسف فأن الكتاب المقدس لا يخبرنا عن أتعاب وأقوال هذا الرسول إلّا قليلاً في أعمال الرسل وهذين السفرين المنسوبين إليه، وأما بخصوص خاتمة حياته فلا تعرف بالضبط ويقال أنه سجن وصلب غير أنه لا يستطيع أحد تأكيد أين ومتىٰ كان ذلك، ويرجح أنه ذهب إلىٰ رومية واستشهد فيها سنة ٦٤ أو ٦٧ ميلادية[1]. وأما الرسالتان فهما:

الرسالة الأولىٰ: وقد كتبت علىٰ الارجح في رومية بين عامي ٦٣ ـ ٦٧م تقريباً، وتتضمن هذه الرسالة بعض المسائل الاخلاقية والسلوكية وتثبيت الايمان.

الرسالة الثانية: أما الرسالة الثانية فيقول كاتبها عن نفسه أنه «سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله» (١: ١).

الّا أن العلماء غير متفقين من جهة كاتبها ومن جهة تاريخ كتابتها فيقولون أن أسلوب الرسالة ليس بالأسلوب البسيط وهي تخالف الرسالة الاولىٰ، وقد بدأ النقاد منذ عصر (جيروم) يأخذون

---

(١) قاموس الكتاب المقدس: ص١٧٧.

اختلاف الاسلوب دليلاً علىٰ اختلاف الكاتب أضافة إلىٰ أن الكنيسة الاولىٰ لم تكن متثبتة ومتحققة بشأن كاتب هذه الرسالة، ولم تدخل الرسالة ضمن مجموع أسفار العهد الجديد في الكنيسة السريانية الّا في القرن السادس الميلادي، والرسالة تتضمن بعض الارشادات أيضاً.

(رسائل يوحنا الرسول)

وهي ثلاث: وتدعىٰ هذه الرسائل مع رسالة يعقوب ورسالتي بطرس ورسالة يهوذا بالرسائل العامة (الجامعة) لأنها لم توجه إلىٰ جماعة مفردة من المسيحيين، بل إلىٰ الكنيسة المسيحية جمعاء مع أن رسالتي يوحنا الثانية والثالثة موجهتان إلىٰ أفراد ولكنهما اعتبرتا من الرسائل الجامعة أيضاً لارتباطهما بالرسالة الأولىٰ.

ومما تجدر الاشارة إليه أن الكاتب لم يذكر أسمه في هذه الرسائل سوىٰ في الثانية والثالثة إذ يسمي نفسه (الشيخ) مما حمل البعض علىٰ الاعتقاد بأنه (يوحنا الشيخ) الذي عاش في أفسس حوالي نهاية القرن الأوّل، وكما ذكرنا فأن يوحنا الشيخ ـ كما يعتقد البعض ـ هو يوحنا الرسول ولهذا نسبت هذه الرسائل إليه. والرسائل هي:

الرسالة الأولىٰ: وهي أطول الثلاث، وهي خالية من التحية والبركة التي تفتتح وتختم بها الرسائل، وفيها تشابهٌ بينها وبين الإنجيل

الرابع إلّا أنّ فيها تبايناً أساسياً عنه، ولذا اختلف في نسبتها إلىٰ يوحنا الرسول.

ويعتقد انها كتبت بين سنة ٩٠ ـ ١٠٠ ميلادية، والرسالة مقالة أو عظة أكثر منها رسالة، ويبدو أنها كتبت دحضاً لبعض الاراء الخاطئة التي روجها بعض الكذبة داخل الكنيسة.

الرسالة الثانية: وهي الرسالة التي بعثها الشيخ إلىٰ السيّدة المختارة وأولادها، واختلف في تفسير هذه السيّدة فالبعض ذهب إلىٰ أن كاتبها يقصد بها كنيسة من الكنائس واتباعها، والبعض الاخر قال أنه كتبها إلىٰ سيدة تدعىٰ (كيرية) أي السيدة المختارة، وهذه الرسالة قصيرة إذ تحتوي علىٰ أقل من ثلاثمائة كلمة باللغة الاصلية اليونانية ويعتقد انها والرسالة الثالثة كتبتا بين سنة ٩٦ و ١١٠ ميلادية[١].

الرسالة الثالثة: يعتقد أن كاتب هذه الرسالة أرسلها إلىٰ (غاليس الكورنتي) المذكور في الرسالة الاولىٰ لبولس إلىٰ كورنثوس، والظاهر أنه كان عضواً غنياً في كنيسة كورنثوس، ويحتمل أن المراد غيره، وتتضمن الرسالة مدحاً لغايس علىٰ تقواه ومعروفه للغرباء ويعده بقرب زيارته له.

رسالة يهوذا: ويهوذا هذا ليس يهوذا الاسخريوطي الخائن. بل هو يهوذا أخو يعقوب، فقد ذكر كاتبها أنه أخو يعقوب صاحب المقام

---

(١) قاموس الكتاب المقدس: ص١١١٢.

السامي في كنيسة أورشليم، ولا يعرف عنه إلّا الشيء اليسير.

ولا يدعي الكاتب أنه من الرسل، ويقال أنه كتبها بعد استشهاد أخيه يعقوب أي في العقد السابع من القرن الأوّل والمقصود منها تحذير المؤمنين من المعلمين المضلّين الذين ظهروا في الكنيسة الاولىٰ.

(رؤية يوحنا)

وهي السفر الأخير من العهد الجديد، وبعد نقاش وجدال طويلين، انتهىٰ الأمر بالتفكير في الشرق والغرب إلىٰ الاعتراف بأنه سفر كتب بالهام الروح القدس وأعتبر جزءاً من العهد الجديد.

وقد كتب السفر في جزيرة بطمس احدىٰ جزر بحر اليونان في سنة ٩٥م تقريباً، والسفر بعد المقدمة والتحية ينقسم إلىٰ سبعة أقسام رئيسية تعقبها الخاتمة، وكل قسم من هذه الأقسام يشمل رؤيا مستقلة أو سلسلة رؤىٰ، والرؤية ملأىٰ بالرموز وهي مكتوبة إلىٰ الكنائس السبع التي في آسيا(١).

هذه هي الاسفار التي يشتمل عليها العهد الجديد، ويظهر أنها كتبت خلال نصف قرن تقريباً ما بين سنة ٥٥ ـ ١١٠ ميلادية، فهي لم تر النور دفعة واحدة، ومما يلفت النظر فأن المسيحيين يعتقدون أن

---

(١) المسيح في الفكر الاسلامي: ص١٤٦.

المسيح عليه السلام لم يكتب شيئاً ولم يأمر أحداً من تلاميذه بتدوين اقواله واعماله، ولكن قد طلب منهم أن يشهدوا ويبشروا بما رأوا وسمعوا فكانت نقطة الانطلاق للرسل هي البشارة والشهادة للمسيح عليه السلام.

ومن هنا بدأ التقليد المسيحي وهو التذكير المشترك بهذه الحوادث من جيل إلىٰ جيل. (ولهذا فالتقليد الشفوي يعتبر الينبوع الذي نهل منه الرسل وتلاميذ الرسل ليدونوا أسفار العهد الجديد. علىٰ أن هذا التدوين للتقليد الشفوي لم يتم بأرادة الرسل أيضاً فمرقس مثلاً حسب أوزابيوس قد دفعه إلىٰ التدوين المستمعون لبطرس الرسول الذي وجد نفسه أمام الامر الواقع، فبطرس حسب اكليمنضوس لم يتدخل لا راضياً ولا رافضاً[1]).

وأما الشروع في كتابة الاناجيل رغم عدم طلب يسوع المسيح عليه السلام من التلاميذ ذلك فيعزونه إلىٰ أسباب عديدة منها، (رغبة المسيحيين بالحصول علىٰ معلومات أكثر عن حياة وتعاليم المسيح عليه السلام يحتفظون بها، وكذلك تقدم السن بالرسل الاولين وشدة الاضطهادات التي كانت تحيط بهم، اضافة إلىٰ ظهور الافكار العقائدية الباطلة تحت تأثير الوثنية واليهودية والتي انتشرت بسرعة مسببة القلق والشك في صفوف المؤمنين الجدد، وغيرها من الامور، كل ذلك

---

(١) نفس المصدر: ص١١٥.

دفع بالمسيحيين الاولين إلىٰ تدوين تعاليمهم حتىٰ لا تنسىٰ)[١].

والمسألة المهمة في هذا الموضوع هي أن الكنيسة تعتقد أن الاناجيل كتبت بالوحي والالهام الالٰهي، فنرىٰ في مقدمة الإنجيل مكتوباً: «كتب العهد الجديد بوحي من الروح القدس في مدة لا تتعدىٰ المائة من السنين، ولقد حفظ الله الإنجيل في هذه النصوص علىٰ مر السنين رغم الاضطهادات والاخطار)[٢].

ومما يجدر الاشارة إليه أن الكنيسة الاولىٰ لم تكن تعرّف هذه الكتب علىٰ أساس أنها مكتوبة بالالهام والوحي، بل أنما أعتبرت كذلك بعد كتابة هذه الكتب بعدة قرون، ففي القرون الاولىٰ للميلاد وحتىٰ القرن الرابع الميلادي لم يكن أحد يتكلم عن الالهام في هذه الكتب، بل حتىٰ الكنيسة لم تكن تقبل سوىٰ العهد القديم كتاباً مقدساً، إلّا أن تعدد الكتب في القرن الأوّل والثاني للميلاد والتي تجاوزت المائة، وظهور العقائد المختلفة في الكنيسة، دفعت الكنيسة إلىٰ تشكيل المجامع المحلية والتي تعددت كثيراً (كمجمع نيقية ٣٢٥، مجمع هيبون في ٣٩٣، وقرطجنة ٣٩٧ و٤١٨) ومن خلال هذه المجامع أعطيت اللوائح الرسمية للعهد الجديد وتم إختيار (٢٧ سفراً) علىٰ أنها مكتوبة بالوحي والالهام الالٰهي.

---

(١) المسيح في الفكر الاسلامي: ص١١٣.

(٢) مقدمة العهد الجديد.

واما الكتب الاخرىٰ فقد ألغيُت ولم تقبلها الكنيسة، وأول من اعتبر هذه الاسفار (٢٧) هو مجمع نيقية السكوني سنة (٣٢٥)م ثـم جاء البـابا جـيلاسيوس الأوّل (٤٩٢ ـ ٤٩٦)، إذ أعـطىٰ المـرسوم الرسولي سنة ٤٩٥ ميلادي مقدماً اللائحة التي نملكها اليـوم للـعهد الجديد[١]. وأعتقد أن الغاء كل تلك الكتب الاخـرىٰ أضـاع تـراثـاً عظيماً كان يمكن الاعتماد عليه لفهم الحقائق عن المسيحية بصورة أفضل وأدق وأقرب للواقع. وأما سـبب اخـتيار هـذه الكـتب دون غيرها، فلأنها (علىٰ حد قول المسيحيين) (تعطي بشكل أفـضل مـا كانت تؤمن به الكنيسة الأولىٰ، ولكن هذا لا يعني أن الكنيسة هـي التي منحت صفة الالهام لهذه الاسفار، بل أن محتوىٰ الأسفار ذاته هو الذي دفع بالكنيسة لتمييزها عن الكتب الاخرىٰ)[٢].

وأما كيفية الوحي والالهام فـي كـتابة هـذه الاسـفار فـيعتقد المسيحيون أن الالهام الكتابي الذي يقصدونه هو غير الالهام النبوي، فالالهام الكتابي يدل علىٰ عمل الله (فوق الطبيعي) الذي يمارسه علىٰ مؤلفي الكتاب ليدفعهم إلىٰ تدوين الحقائق التـي أوحـاها وأعـطاها للبشر وذلك بمساعدته الدائمة والمباشرة.

فالكاتب يعبر عما يريد الله أن يطلع الناس عليه ولكـنه ليس

---

(١) المسيح في الفكر الاسلامي: ص١١٧.

(٢) المسيح في الفكر الاسلامي: ص١١٧.

كقطعة الاسفنج في نقل الماء، تحمله ولكن لا تفعل غير ذلك.

أن وحي الكتاب المقدس يختلف في مفهومه عن مفهوم الوحي في الاسلام، إذ يعتقد المسلمون أن النبي لم يكن سوىٰ ناقل لكلام الله، ولا دخل له فيه، وأما الوحي الكتابي عند المسيحيين، فهو من عمل الله والانسان معاً، فالكاتب في هذا الالهام يحتفظ بشخصيته وعبقريته وأسلوبه في الكتابة، وأما الالهام النبوي فأن النبي لا يعدو كونه أداة طيعة يتكلم بأسم الرب لا غير، ومن هنا فالالهام الكتابي يختلف عن الالهام النبوي، ولهذا نرىٰ التمايز بين الاسفار المكتوبة بالالهام تبعاً لتغاير أسلوب كتّابها(١).

وعلىٰ ذلك فأن الكاتب الملهم من قبل الله يكون معصوماً عن الخطأ فيما يكتبه، لأن الله لا يخطأ ولا يخدع أحداً، وأما دائرة العصمة (والقول للمسيحيين) فهي تشمل الحقائق الدينية والالٰهية الموحاة من قبله، واما الحقائق الدنيوية التي ليست من حقل الحقائق الالٰهية فيمكن للكاتب أن يخطأ فيها، فالله سبحانه لا يبتغي أن يجعل منه رجلاً كاملاً في العلوم(٢).

هذا بأختصار نبذة عن العهد الجديد واعتقاد المسيحيين به، فهو الأساس لكل العقائد المسيحية.

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي: ص١٥.

(٢) المسيح في الفكر الاسلامي: ص١٠٥.

وقبل الاشارة إلىٰ بعض النقاط والتساؤلات التي تدور حول هذه الاسفار، وتتميماً للفائدة نشير بإيجاز إلىٰ بعض الكتب الاخرىٰ التي رفضتها الكنيسة لتتضح لنا صورة ما عنها:

الكتب الأخرىٰ

أو كما يسميها المسيحيون (الكتب المنحولة) وهي علىٰ ما يذكر المؤرخون قد وصلت إلىٰ مائة كتاب خلال القرنين الأوّل والثاني للميلاد، وأن مقدمة إنجيل لوقا تشير إلىٰ ذلك حيث يقول: «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الامور المتيقنة عندنا» ولكن للأسف فأن معظمها قد ضاع وأهمل، وهنا نشير إلىٰ بعضها.

١ ـ **إنجيل يعقوب**: (ويعود إلىٰ القرن الثاني للميلاد، وهو يتحدث عن سيرة العذراء مريم عليها السلام منذ مولدها إلىٰ ولادتها للمسيح عليه السلام واقامتها في الهيكل. وهي تطابق إلىٰ حدّ ما قصة مريم عليها السلام في القرآن الكريم إذ يذكر كيف أن والديها قدماها للهيكل للخدمة وكان الملاك يأتيها بالطعام وكفالة يوسف لها.

٢ ـ **إنجيل متي**: وهو الاخر يروي قصة العذراء، ولادتها ونزول الطعام عليهامن قبل الملاك، ويرويميلاد يسوع وهروبه إلىٰ مصر وبعض معجزاته التي رافقته.

٣ ـ **إنجيل الطفولية (العربي)**: يعود إلىٰ القرن الخامس، وهو

الاخر يروي المعجزات عند ولادة يسوع المسيح عليه السلام وكذلك خلال هروبه إلىٰ مصر، ونجد فيه معجزة (تحويل الطير من طين إلىٰ طير حي بنفخة منه)[١].

وهناك أناجيل أخرىٰ كثيرة: كإنجيل نيقوديموس، إنجيل الابيونبين، إنجيل المصريين، إنجيل العبرانيين، إنجيل بطرس، إنجيل توما وغيرها من الرسائل الاخرىٰ الكثيرة[٢]...

وأما الإنجيل الآخر الذي أود الأشارة إليه فهو إنجيل برنابا، الذي أحدث منذ ظهوره ضجة كبيرة بين المسلمين والمسيحيين علىٰ حد سواء، وبالحقيقة فقد كتبت بحوث ودراسات عديدة عن هذا الإنجيل، فهو يوافق بشكل عام القرآن في عامة قصصه، وكذلك فهو يذكر النبي الخاتم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم صريحاً باسمه.

وأصل هذا الكتاب قد عثر عليه باللغة الايطالية كما ينقل عن الترجمة الاسبانية له، فيذكر المترجم، أن الاصل الايطالي قد عثر عليه راهب يدعىٰ فرامرينو، في زمن البابا (سكست كنت الخامس) سنة (١٥٨٥ ـ ١٥٩٥) ميلادي. فقرأ الراهب الكتاب فأعتنق الدين الاسلامي وترك ديانته السابقة، وفي الحقيقة فأن النقاش ما زال قائماً إلىٰ الآن حول هذا الإنجيل، حيث يعتقد المسيحيون أنه «كان هناك

---

(١) المسيح في الفكر الاسلامي: ص١٤٩.

(٢) قاموس الكتاب المقدس: ص١٢٢.

إنجيل أو رسالة لبرنابا الرسول ولكنها كانت تعترف (بأن المسيح عليه السلام هو ابن الله المتجسد، وأنه صلب وقام وظهر لتلاميذه وصعد إلىٰ السماء) فهي كانت تحافظ علىٰ التعليم الرسولي». ولكن الكنيسة لم تعتبرها من الكتب الملّهمة رغم محافظتها علىٰ التعليم الرسولي!![1]

ومن أراد التوسع في حقيقة هذا الإنجيل فليراجع مقدمة الدكتور خليل سعادة مترجم هذا الإنجيل من الانجليزية إلىٰ العربية ١٩٠٨. وكذلك مقدمة محمد رشيد رضا..

وهنا أود أن أشير إلىٰ بعض النقاط والتساؤلات المهمة التي تدور حول صحة هذه الأسفار ونسبتها إلىٰ الوحي الالهي:

أوّلاً: السؤال الأوّل الذي يمكن طرحه هو أن النسخ الاصلية لهذه الأسفار مفقودة، بل نسخ النسخ مفقودة كذلك، حيث أن أقدم نسخة موجودة تعود إلىٰ القرن الرابع الميلادي، فلو سلّمنا بأن مؤلفي هذه الاسفار قد كتبوها بالوحي الالٰهي، فهل من المعقول أن ندّعي بأن النسخ المنقولة عن الأصل هي الاخرىٰ قد نقلت بالوحي الالٰهي، ولم تتدخل الاراء والابداعات للناسخ فيها من زيادة ونقيصة.

ولعدم توفر النسخ الاصلية، فلا يمكن القطع بأن النص الاصلي لم يدخل عليه الزيادة والنقصان فلا يمكن التثبت من أن النسخ الموجودة بين أيدينا هي مطابقة تماماً للنسخ الاصلية وخصوصاً مع

---

(١) المسيح في الفكر الاسلامي: ص١٥٢.

الجهل بالاشخاص الذين قاموا بنسخها وبعقائدهم.

ثانياً: أن الكنيسة الاولىٰ وإلىٰ القرن الرابع تقريباً ـ كما ذكرنا ـ لم تكن تعترف بأن هذه الكتب إنما كتبت بالالهام والوحي الالٰهي، بل تم ذلك في مجمع نيقية المسكوني سنة (٣٢٥) ميلادية، فقد تم جمع الكثير من الاناجيل والاسفار وتم إختيار هذه الاسفار وعددها (٢٧) ككتاب مقدس وملهم، وأما الكتب الاخرىٰ مع أنه قد كتب بعضها الرسل أنفسهم (كإنجيل أورسالة برنابا) ولم تكن تغاير التعاليم الرسولية علىٰ حد زعمهم، ولكنها رفضت وأهملت.

وهنا نستطيع التساؤل هل اختار هذا المجمع هذه الكتب بوحي سماوي أو لا؟ فإن كان الجواب نفياً (وهو كذلك إذ لو كان الاختيار بوحي سماوي لِمَ لم يتم هذا الوحي إلىٰ الكنيسة الاولىٰ وحتىٰ القرن الرابع؟)، فإنه إذن من إختيار البشر، والبشر معرّضون للصواب والخطأ، فعلىٰ أبعد الاحتمالات فأن الانسان العاقل يشك في أن هذه الاسفار هي الإنجيل الموحىٰ.

ثالثاً: النقطة الاخرىٰ هي أن بعض النصوص المعتمدة كانت قد ترجمت من لغتها الاصلية إلىٰ لغة أخرىٰ والاصل المترجم عنه قد فقد، وما هو مشهور ومعروف أن المترجم مهما كان ذكياً وبارعاً وذا إلمام باللغة يجد صعوبة في نقل المراد بشكل دقيق، لأنه غالباً ما يجد كلمات ليس لها مكافئ في اللغة المترجم اليها، فيضطر إلىٰ وضع

الكلمات التي يعتقد أنها أقرب للمعنىٰ، وبـالتالي فـيمكن أن يـتغير المعنىٰ المراد أصلاً، ولهذا فلا يمكن الاعـتماد بشكـل قـاطع عـلىٰ الترجمة. ومراجعة سريعة لحال الأسفار (المـقدسة) تكشـف لنـا أن بعض النسخ الموجودة هي ترجمة للنسخ الاصلية المفقودة.

رابعاً: أن من الأمور التي يحكم بـها العـقل هـي أن الكـتاب السماوي يجب أن لا يشوبه التناقض والاختلاف لأن الله تعالىٰ عالم وحكيم فيستحيل نسبة الاختلاف والتناقض إلىٰ وحيه، وحتىٰ بمعنىٰ الوحي والالهام الكتابي الذي يعتقد به المسيحيون إذ يكون المعنىٰ من الله والكلمة والأسلوب من المؤلف، وذلك لان الله سبحانه يستحيل أن يوحي إلىٰ شخص معنىٰ يختلف عن الذي أوحاه إلىٰ آخر في نفس المورد، أو معنىٰ واحد لقصة واحدة تنقل في أسلوبين.

مثلاً: «في قصة صلب عيسىٰ عليه السلام تنقل بعض الاسفار أنه سقي خمراً مراً، وفي البعض الاخر يقول خلا، فهذه قـصة واحـدة ولكـن تختلف من سفرٍ لآخر، فاذا كان الاثنان مكتوبين بـالوحي الالٰـهي، فيكون واحد منها صحيحاً (بحكم العقل) لا كلاهما، والاسفار مليئة بهذه التناقضات، ولولا أن قصدي في هذا البـحث الاخـتصار قـدر الامكان لبيّنت العشرات من هـذه الاخـتلافات فـي العـهد الجـديد وأكتفي هنا بذكر بعضها ومن أراد المزيد فليطالع العهد الجديد بنفسه.

١ ـ الاختلاف في نسب عيسىٰ عليه السلام فـي الانـاجيل، ومـهما

حاول المسيحيون إيجاد تبريرات لهذه الاختلافات لم يتمكنوا من إيجاد جواب مقنع لها. إذ ينقل كتاب (قاموس الكتاب المقدس) ما نصه «النسب المذكور في إنجيلي متي ولوقا» هناك شيء من الصعوبة في فهم جدوليهما، إذ نجد فروقاً جمّة فسرت تفاسير شتىٰ. وهذه الفروق تبرهن استقلال كل من البشيرين عن الاخر في ما كتبه واعتماده علىٰ مصادر تختلف عن مصادر اخرىٰ(١).

ويذكر ثلاثة آراء لهذه الاختلافات يبطل اثنين منها ويبقي الآخر، ولكنه أيضاً غير مقنع. فأن لوقا يذكر ٢٥ أسماً بين داود وزربابل، أمّا متي فذكر خمسة عشر أسماً فقط، وجميع الاسماء تقريباً مختلفة الواحد عن الاخر في الجدول.

٢ ـ في إنجيل متي ومرقس ولوقا يذكر أن رجلاً أسمه سمعان هو الذي حمل صليب عيسىٰ عليه السلام وأما في انجيل يوحنا فيذكر أن عيسىٰ عليه السلام هو الذي حمل صليبه إلىٰ جلجثة.

٣ ـ أن المسيح عليه السلام بعد قيامته وحسب إنجيل متي أمر التلاميذ بالذهاب إلىٰ جميع الامم وأن يعمدوهم (باسم الاب والابن والروح القدس) أما في انجيل مرقس فأمرهم بالذهاب إلىٰ العالم أجمع وأن يكرزوا بالإنجيل. وفي انجيل لوقا «وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم». وغيرها الكثير. مما سنذكره في

---

(١) قاموس الكتاب المقدس: ص١٠٣٧.

مسألة الصلب والقيامة.

خامساً: وإضافة إلىٰ ذلك فأن عدداً كبيراً من علماء الكتاب المقدس يرون أن هذه الاسفار الموجودة في العهد الجديد ليست كلها علىٰ الأقل مكتوبة بالوحي الالٰهي، والاختلافات فيها قائمة إلىٰ يومنا هذا، رغم محاولات الخنق التي قامت بها الكنيسة للاراء والعقائد المخالفة لها.

فمثلاً ينقل عن الدكتور موريس بوكاي «إن قراءة كاملة للأناجيل يمكنها أن تشوش المسيحيين بصورة هائلة» إذ بعد دراسته للعهد الجديد وجد أن التناقضات وعدم التجانس «تجتمع علىٰ حقيقة أن الاناجيل تحتوي علىٰ فصول ومقاطع ما هي إلّا الانتاج الوحيد للخيال البشري»[1]. وكذلك يقول: الدكتور كنيث كراج: «أن الاناجيل جاءت من خلال فكر الكنيسة وآراء المؤلفين» وان الاناجيل «تمثل التجربة والتاريخ»[2]. أما كارل أندري أُستاذ الفلسفة والدراسات الدينية في جامعة بول فيقول أن الاناجيل الاربعة «قد كتبت من قبل أشخاص متحمسين في الحركة المسيحية المبكرة» وانها «تعطينا فقط جانباً واحداً من القصة وهي الىٰ درجة كبيرة نتاجات افتراضات المؤلفين»[3].

وكذلك الدكتور جراهام سكروجي الذي يقول: «نعم ان الكتاب

---

(١) نظرة عن قرب في المسيحية: ص٦٢.

(٢ ـ ٣) نفس المصدر: ص٧٥.

المقدس بشري... هذه الكتب قد مرت عبر عقول الناس، وهي مكتوبة بلغة الناس وخُطت باقلام الناس وأيديهم وتحمل في أساليبها خصائص البشر»[١]. وغيرهم الكثير، فمنذ القرون الاولىٰ لقبول الكنيسة لهذه الكتب كان يدور هناك النقاش والجدال حول صحتها.

وخلاصة البحث نقول أن العهد الجديد الذي تتمسك به الكنيسة علىٰ أنه كتاب سماوي وإلٰهي، وتستمد منه عقائدها، لا يمكن علىٰ أقل تقدير نسبته جميعه إلىٰ الوحي الالٰهي، إن لم نقل انه كتاب تاريخي يحكي بعض الوقائع عن زمان يسوع المسيح عليه السلام فهو كتاب من نتاج الخيال البشري ليس إلّا. إذ انه مجموعة من القصص كما ذكر ذلك لوقا، فلا يد للغيب فيه..

---

(١) نفس المصدر ص٧٦.

عيسىٰ (ع) وحياته في (العهد الجديد)

من الأمور المهمة في العقيدة المسيحية والتي يحملها كل مسيحي، والتي كنت احملها بكل وجودي، هو العشق المفرط ليسوع المسيح عليه السلام لأني كنت أعتقد أنه ابن الله الحبيب الذي ارسله الله الأب لخلاص العالم، وهو حمله الذي فدىٰ به البشرية جمعاء، فهو ليس إنساناً، لأنه ليس له أب كبقية الناس، فكان أسمه دائماً يشير إلىٰ الله أبيه، وكذلك العشق لمريم العذراء عليها السلام فهي (والدة الله) كما كنا نردد في صلاتنا.

ولم يكن ليخطر في بالي يوماً من الايام أن يسوع المسيح عليه السلام هو إنسان كسائر البشر، وذلك لان تعاليم الكنيسة كانت تؤكد دائماً علىٰ الجنبة اللاهوتية له، فالاجواء التي كنت أعيشها في البيت وفي الكنيسة، وحتىٰ في المجتمع المسيحي الصغير الذي كان يحيطني، كلها كانت تساعد علىٰ تركيز هذا المعنىٰ في قلبي وعقلي، فلم يكن

هناك أي مجال للشك في هذه العقيدة.. ولكن من دون التعمق والتفكر فيها، فهي من الامور المسلّمة، وهي سر الله الذي تجسد في يسوع المسيح عليه السلام أخيراً.

ولم أكن ألتفت إلىٰ التناقضات في هذه العقيدة، حالي في ذلك حال معظم المسيحيين إذ لا وقت لذلك، والسؤال حول هذه الامور شبه ممنوع، فالمسيحي عليه أن يتبع ما تقوله الكنيسة ويأخذه أمراً مسلّماً، فقد نشأنا وتربينا علىٰ هذا الاعتقاد.

ولكن بعد المطالعة والتحقيق، والانتباه من الغفلة، أتضح لي الخطأ في الاعتقاد الذي كنت أحمله في المسيح عليه السلام، إذ لا يمكن قبول فكرة (البنوّة) عقلياً فضلاً عن القول بالتجسيد.

وقبل الاشارة إلىٰ ما قيل في المسيح عليه السلام نقدم نبذة عن حياته كما ترويها الاناجيل والاسفار (العهد الجديد).

٢

ولادته وحياته عليه السلام:

لقد أختلف العلماء المسيحيون في سنة ولادة المسيح عليه السلام، وأوّل من كتب عن التقويم الميلادي للمسيح عليه السلام هو رئيس دير يدعىٰ «ديونيسيوس اكسيجؤس» الذي مات قبل عام (٥٥٠) ميلادي فأختار هذا الراهب أن ولادة المسيح عليه السلام هي في سنة ٧٥٤ لتأسيس روما وهذه السنة تقابل العام الأوّل الميلادي، إلّا أن ما ذكره

المؤرخ يوسيفوس يظهر بوضوح أن هيرودس الكبير الذي مات بعد ولادة المسيح عليه السلام بوقت قصير مات قبل عام ٧٥٤ لتأسيس روما فعلىٰ الارجح أنه مات حوالي عام ٧٥٠ لتأسيس روما، الذي تقابل سنة ٤ ق. م.

إذن فميلاد المسيح عليه السلام تم أما في أواخر سنة ٥ ق. م أو في اوائل سنة ٤. ق. م[1].

إن من الغريب في الاناجيل التي تروي حياة المسيح عليه السلام وتعاليمه، أنّها لم تذكر قصة ولادته إلّا في إنجيلين هما (متي ـ ولوقا) علىٰ إختصار شديد، وإما إنجيل مرقس فلم يذكر شيئاً بتاتاً عن ولادته عليه السلام، وإما إنجيل يوحنا فقد أكتفىٰ بذكر التجسد الالٰهي بقوله في أوّل الإنجيل «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله... والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيدٍ من الاب مملوءاً نعمةً وحقاً».

فإنجيل متي يذكر أن الحبل بيسوع المسيح عليه السلام كان عن طريق روح القدس (متي: ١ ـ ١٨) أي أنه لم يكن هناك تقارب بشري بل كان معجزة الهية، ولكن متي لا يذكر شيئاً عن كيفية هذا الحبل بل يكتفي بذكر مريم عليها السلام وهي حبلىٰ قبل أن تدخل إلىٰ بيت يوسف (متى: ١: ١٩ ـ ٢١) ويذكر رؤية يوسف للملاك قائلاً له أن الذي حبل

---

(١) قاموس الكتاب المقدس: ٨٦٤.

به فيها هو من الروح القدس. وأما إنجيل لوقا فهو يذكر الحوار بين الملاك ومريم (لو: ١: ٢٧ ـ ٣٨) الملاك الذي بشر مريم بيسوع عليه السلام.

ولما حان وقت الولادة، ولد يسوع عليه السلام في بيت لحم في عهد الملك هيرودس الكبير، ويذكر (متي ولوقا) بشارة الملاك للرعاة بالولادة.

ويذكر لوقا أن ختانه عليه السلام كان في اليوم الثامن (لو: ٢ = ٢١) ـ وهذا كل ما تذكره الاناجيل عن ولادته، وأما طفولته فلم تذكر الاناجيل شيئاً عنها، سوىٰ إنجيل لوقا الذي يروي زيارة المسيح عليه السلام للهيكل وقد بلغ الثانية عشرة من عمره (لو: ٢: ٤١ ـ ٥١).

ومما يؤسف له اننا لا نملك أية معلومات عن حال هذا الطفل المعجزة، ولكن هناك بعض الاناجيل الاخرىٰ والرسائل التي تشير إلىٰ بعض تفاصيل حياة سيدنا يسوع المسيح عليه السلام ولكن الكنيسة لم تعتمدها ضمن الكتب الملهمة فضاعت أكثرها ولم يبق من البعض منها الا الاسم فقط.

وتنتقل الاناجيل بعذ ذلك لذكر يسوع المسيح عليه السلام وهو في سن الثلاثين من العمر أي حوالي سنة ٢٧ ميلادي (لو ٣: ٢٣) إذ أنه ترك الناصرة واعتمد من يوحنا المعمدان (يحيىٰ) عليه السلام، واقتيد يسوع عليه السلام إلىٰ برية اليهودية كي يجربه ابليس (مت: ٤: ١ ـ ١١) (فبعدما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً، فتقدم إليه

المجرب...).

وعندما سجن يوحنا المعمدان، بدأ يسوع المسيح عليه السلام دعوته الرسالية في الجليل، فدعا تلاميذه الاولين، وبدأ بإظهار المعاجز وأوّل معجزة ظهرت للمسيح عليه السلام هو تحويله الماء إلىٰ خمر في عرس قانا بالجليل (يو ٢: ١ ـ ١١). وعندما أعلن في مجمع الناصرة انه هو النبي المقصود، رفضه قومه وأهل بلدته (لو: ٤: ٦ ـ ٣٠).

ومن بعد هذا أنحدر يسوع عليه السلام إلىٰ كفرناحوم وأتخذها مركز بث دعوته ونشر رسالته، وبقيت كفرناحوم مركزاً له مدة تزيد علىٰ سنة كاملة من خدمته، فكان يعلم فيها وفي أنحاء اخرىٰ من الجليل ويعمل المعجزات، وأختار من بين تلاميذه واتباعه اثنا عشر تلميذاً ليكونوا تلاميذه المقربين، وقد علّمهم ليكونوا رسله، فذاعت شهرته بسبب هذه التعاليم والمعجزات بين جماهير الجليل، كما وصلت هذه الشهرة إلىٰ الذروة في معجزة أطعام الخمسة آلاف.

وقد عزمت الجماهير علىٰ تتويجه ملكاً ولكن المسيح عليه السلام رفض وانصرف إلىٰ الجبل. وذهب بعد ذلك إلىٰ منطقة صور وصيدا وقيصرية فيلبس. واستمرت معاجزه عليه السلام فيها وتبليغ دعوته ورسالته إلىٰ أن أقترب موعد رحيله فقصد اورشليم في المساء السابق لصلبه، فغسل ارجل تلاميذه، ثم صلىٰ، ثم جاء يهوذا الاسخريوطي الخائن مع جمع كثير فسلمه اليهم وهرب التلاميذ كلهم (متي: ٢٦: ٥٦).

ويعتقد المسيحيون أنه عليه السلام قد صلب ومات وقام من الاموات في اليوم الثالث. وبعد ذلك ظهر لتلاميذه ليبشّرهم بقيامته ويرسلهم إلىٰ جميع الامم لتبليغ تعاليمه وارشاداته.

هذه باختصار حياة المسيح عليه السلام كما تذكره الاناجيل وتعتبر مسألة صلب المسيح عليه السلام وقيامته من الامور المهمة في العقيدة المسيحية إذ بدونها لا تكتمل فصول عقيدة الفداء والخطيئة الاصلية، ولنلقِ نظرة عن كيفية صلبه وقيامته، ومن ثم عن موضوع الفداء والخطيئة الاصلية حسب الاسفار الملهمة.

الصلب والقيامة

أن قصة صلب المسيح عليه السلام في الاناجيل الأربعة فيها الكثير من الاختلاف، وكذلك قيامته.

ففي الاناجيل الثلاثة المتوافقة وعند القاء القبض عليه ينقل أن يهوذا الاسخريوطي تقدم إلىٰ المسيح عليه السلام وقبّله، وكان قد اتفق مع العسكر علىٰ علامة وهي تقبيله للمسيح عليه السلام فالقوا القبض عليه «متي: ٢٦: ٤٧ ـ ٥٥) (مر: ١٤ ـ ٤٣ ـ ٤٦) (لو: ٢٢ ـ ٤٧ ـ ٥١). واما في انجيل يوحنا فينقل أن المسيح عليه السلام هو الذي خرج إليهم وقال من تطلبون؟، أجابوه يسوع الناصري، قال لهم يسوع عليه السلام أنا هو وكان يهوذا واقفاً معهم (يو: ١٨: ٢ ـ ٩).

فلا ينقل يوحنا تقبيل يهوذا للمسيح عليه السلام بل أن المسيح عليه السلام هو الذي عرّف نفسه، فهرب التلاميذ كلهم بعد تسليم المسيح عليه السلام نفسه، فلم يشهدوا ماذا جرىٰ بعد ذلك. إلّا انها تنقل أن بطرس تبعه

من بعيد.

وكذلك تختلف الاناجيل في قصة محاكمته عند بيلاطس، وكذلك في حمله للصليب فتقول الاناجيل المتوافقة أن رجلاً قيروانياً اسمه سمعان هو الذي حمل الصليب، (لو: ٢٣: ٢٦ ـ ٢٧) وأما في انجيل يوحنا فينقل أن المسيح عليه السلام هو الذي حمل صليبه: «فخرج وهو حامل صليبه»، (يو: ١٩: ١٧).

وعند موته أيضاً عليه السلام تختلف الاناجيل فيما بينها؛ إذ ينقل متي ومرقس أن يسوع المسيح عليه السلام وقبل ان يسلم روحه صاح بصوت عظيم معاتباً ربّه: «إيلي إيلي لما شبقتني أي إلٰهي إلٰهي لماذا تركتني) مت: ٢٧: ٤٦ ـ ٥٠) ومن ثم صرخ أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح، أما لوقا فأنه ينقل أن المسيح عليه السلام لم يعاتب ربه، بل أسلم روحه بكل طمأنينة فيقول: «ونادىٰ يسوع بصوت عظيم وقال يا أبتاه في يديك أستودع روحي» ولما قال هذا أسلم الروح (لو: ٢٣: ٤٥ ـ ٤٧). وأما يوحنا فأنه لم ينقل شيئاً عن تلك الصرخة العظيمة بل ينقل أنه عندما أخذ يسوع الخل الذي سقوه قال قد أكمل ونكّس رأسه وأسلم الروح (يو: ١٩: ٣٠).

وأما دفنه فتنقل الأناجيل المتوافقة أنه نُحت في صخر، وأما أنجيل يوحنا فيقول: (إنه كان في الموضع الذي صلب فيه بستان وفي البستان قبرٌ جديد) (يو: ١٩ ـ ٤٠ ـ ٤١).

وأما عن قيامته فالاختلاف أكثر، لان الاناجيل المتوافقة هي أيضاً مختلفة. فبعدما طلب رؤساء الكهنة من بيلاطس أن يضع حراساً علىٰ القبر كي لا يسرقه التلاميذ ويدّعون أنه قد قام أستجاب لأمرهم، وعند فجر أوّل الاسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم أخرىٰ معها فنظرتا إلىٰ القبر، فحدثت زلزلة عظيمة لأن ملاك الرب نزل من السماء ودحرج الحجر الذي علىٰ باب القبر وجلس عليه، وكان لباسه أبيض (متي: ٢٨: ١ ـ ٣).

وأما مرقس فأنه ينقل أنهن لم يسمعن صوت الزلزلة العظيمة، وان الحجر كان قد دحرج والملك بصورة شاب جالسٍ في داخل القبر علىٰ اليمين (مر: ١٦: ٤ ـ ٦)، وأما لوقا فأنه ينقل «أنهن دخلن القبر فلم يجدن يسوع عليه السلام وفيما هنّ محتارات في ذلك إذا رجلان وقفا بهنّ بثيابٍ براقة (لو: ٢٤ ـ ١ ـ ٤) ويزيد لوقا أنه كان مع النساء أُناس آخرون.

وأما يوحنا في أنجيله فأنه يقول أن مريم المجدلية كانت لوحدها، وعندما جاءت ونظرت الحجر مرفوعاً عن القبر، ركضت إلىٰ سمعان (بطرس)، والتلميذ الاخر وقالت لهما أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه، وجاء بطرس ومعه التلميذ إلىٰ القبر، فدخل بطرس ورأىٰ الاكفان موضوعة، ومن ثم دخل التلميذ الاخر فآمن، لانهم لم يكونوا بعد يعرفون أنه ينبغي أن يقوم من الاموات، فمضىٰ

التلميذان وبقيت مريم المجدلية وهي تـبكي فـنظرت إلىٰ القـبر وإذا بملاكين بثياب بيض (يو: ـ ٢٠: ١ ـ ١٣).

وأما ظهوره لتلاميذه ولآخرين فهو الاخر مختلف فيه، فـمتي ينقل أنه ظهر لمريم المجدلية ومريم الاخرىٰ وسجدتا له وأمرهما أن يـــقولا لأخـــوته أن يـــذهبوا إلىٰ الجــليل وهــناك يــرونه (متي: ٢٨: ٩ ـ ٢٠) وذهب التلاميذ ولما رأوه سـجدوا له وبـعضهم شكّوا (متي ٢٨: ـ ١٦ ـ ١٨).

وأما مرقس فأنه يذكر في أنجيله أن الملاك الذي رأته مـريم المجدلية هو الذي قال لها وللنساء اللاتي معها (إذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلىٰ الجليل هـناك تـرونه) (مـر: ١٦: ٧ ـ ٨)، ويردف مرقس أنه ظهر أوّلاً لمريم المجدلية وحدها التي كـان قـد أخرج منها سبعة شياطين، فذهبت هذه وأخبرت الذين كانوا معه ولم يصدقوا (مر: ١٦: ٩ ـ ١٢) وبعد ذلك ظهر لاثنين منهم وأخبرا البقية فلم يصدقوا (مر: ١٦ ـ ١٢ ـ ١٣) وأخيراً ظهر للاحـد عشـر وهـم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يـصدقوا الذيـن نظروه قد قام (مر: ١٦: ١٤ ـ ١٦).

وأما لوقا فأنه ينقل أن الرجلين اللذين وقفا بهن بثياب براقـة هما اللذان ذكّرا النساء بأن المسيح عليه‌السلام قال أنـه يـقوم مـن القـبر، فتذكرن كلامه عليه‌السلام فأخبرن الاحد عشر ولم يصدقوهن (لو: ٢٤: ٤ ـ

١٢) ويضيف لوقا أنه ظهر لاثنين منهم ويسرد القصة بتفصيل عجيب كأنه كان معهم (لو: ٢٤ ـ ١٣ ـ ٣٣). ويردف لوقا قائلاً: (ورجعا إلىٰ أورشليم ووجدا الاحد عشر مجتمعين هم والذين معهم ويقولون ان الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان((لو: ٢٤: ٣٤ ـ ٣٥) وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم سلام لكم فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحاً، فأكل معهم سمكاً وعسلاً (لو: ٢٤: ٣٥ ـ ٤٤).

وأما يوحنا في إنجيله فهو ينقل: عندما رأت مريم المجدلية الملاكين، قالا لها (لماذا تبكين؟ قالت لهما أنهم أخذوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه، ولما قالت هذا التفتت إلىٰ الوراء فنظرت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه يسوع، قال لها يسوع يا امرأة لماذا تبكين؟ من تطلبين؟ فظنت أنه البستاني فقالت له يا سيد ان كنت أنت قد حملته فقل لي أين وضعته وأنا آخذه، قال لها يسوع يا مريم. فالتفتت وقالت ربّوني الذي تفسيره يا معلم. قال لها يسوع لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلىٰ أبي، ولكن إذهبي إلىٰ أخوتي وقولي لهم أني أصعد إلىٰ أبي وأبيكم وإلٰهي والهكم. فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ) (يو: ٢٠: ١٢ ـ ١٩)، ويضيف يوحنا في إنجيله أيضاً (أنه ظهر للتلاميذ عشية ذلك اليوم أوّل الاسبوع وسلّم عليهم واراهم يديه وجنبه وقال لهم كما أرسلني الرب أرسلكم أنا، أما توما أحد الاثني عشر فلم

يكن معهم حين جاء يسوع عليه السلام وعندما أخبروه قال لا أؤمن حتىٰ أراه وبعد ثمانية أيام كان تلاميذه أيضاً داخلاً وتوما معهم فجاء يسوع عليه السلام وسلّم عليهم، فآمن توما أيضاً) (يو: ٢٠: ١٩ ـ ٢٨)، ويذكر يوحنا أيضاً (وآياتٍ اخرىٰ كثيرة صنع يسوع قدّام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب، وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكونوا لكم اذا آمنتم حياة باسمه) (يو: ٢٠ ـ ٣٠ ـ ٣١).

ويذكر في إنجيل يوحنا أيضاً في الاصحاح الذي يشك الكثير من علماء الكتاب فيه، ويقولون بانه ألحاقي وليس من تأليف يوحنا، (والكلام الذي ذكرناه آنفاً يدل علىٰ أن يوحنا قد انهىٰ إنجيله ولم يذكر شيئاً آخر، وأما الكنيسة فقد اعتمدته وقبلته ضمن أنجيل يوحنا) أنه ظهر عليه السلام للتلاميذ علىٰ بحر طبرية ويسرد القصة بالتفصيل. (يو: ٢١: ١ ـ ٢٣).

هذه هي خلاصة ما ذكرته الاناجيل عن قصة صلب يسوع وقيامته وظهوره لتلاميذه ولآخرين، وفي الحقيقة فأن القارئ للاناجيل الأربعة ينتابه الشك في هذه القصص، فإن صدق بواحدة منها كذّب الاخرىٰ، لأنه لا يمكن الجمع بينهما، ولهذا لا أعتقد ان هناك باحثاً أو محققاً يستطيع الجزم بمسألة صلب المسيح عليه السلام وقيامته وظهوره من خلال مطالعته للاناجيل، حيث يصيبه الشك في صحتها لتناقضها.

وهنا أقف علىٰ بعض النقاط التي ارىٰ لا بُدّ من التوقف عندها فأقول: ـ

أن من الأمور المتيقنة في قصة القبض علىٰ المسيح عليه السلام والتي لا تختلف حولها الاناجيل هي أن التلاميذ كلهم قد هربوا وتركوه (مر: ١٤ = ٥١) (متي: ٢٦ = ٥٦) والذي تبعه حسب بعض الاناجيل هو بطرس فقط، وهو حسب الاناجيل أنكر معرفة المسيح عليه السلام وحلف ولعن إني لا أعرف الرجل، وعند صياح الديك خرج وبكىٰ (متي: ٢٦: ٧١ ـ ٧٥)، والتفاصيل في قصة متابعة بطرس للمسيح عليه السلام وجلوسه أو وقوفه خارج أو داخل الدار كلها متناقضة في الاناجيل، فيبقىٰ السؤال هنا: كيف ينقل متي ويوحنا وهما من التلاميذ قصة حوار رئيس الكهنة مع المسيح عليه السلام وهما لم يكونا موجودين؟

فيأتي الجواب من قبل المسيحيين بأننا نقول بأن الالهام والوحي الالهي هو الذي أوحىٰ إليهما بذلك، ولكن من خلال متابعة قصة القبض علىٰ عيسىٰ عليه السلام وحتىٰ تفاصيل المحاكمة وصلبه كلها كانت غير متطابقة بل ومتناقضة، فاحدهم يذكر أنه حمل صليبه، والآخر يقول غيره قد حمل الصليب، والبعض يقول قد سقي خمراً والآخر يقول خلاً.

فلا يبقىٰ مجال للشك بأن الذي كُتب في هذه الاناجيل هو ما كان متداولاً علىٰ ألسن الناس في ذلك الزمان، والدليل علىٰ ذلك قصة

ظهور المسيح عليه السلام للرجلين حسب انجيل لوقا (٢٤: ١٨) إذ يـذكر لوقا بالنص «فأجاب أحدهما الذي اسمه كليوباس وقال له هل أنت متغرب وحدك في أورشليم ولم تعلم الأمور التي حدثت فيها في هذه الايام».

فمسألة صلب المسيح عليه السلام لم ينقلها التلاميذ شهوداً، ولا يـد للوحي والالهام الالٰهي فيها، بل هي مذكورة كما كانت متداولة بـين الناس في ذلك الوقت؛ والحدث الذي يدور علىٰ ألسنة الناس ومن فم إلىٰ فم لا يسلم دائماً من الزيادة والنقصان فلا يمكن الوثوق به.

وكذلك مسألة قيامة المسيح عليه السلام فهي الاخرىٰ دونت بسبب تداولها بين الناس، إذ نجد في الاناجيل أن مسألة القيامة من أكـثر المسائل تناقضاً في الاناجيل، فإنجيل يذكر أن مَـنْ رأىٰ القـبر قـد دحرج عنه الحجر هي مريم المجدلية ومريم أخرىٰ، والبعض الآخر يقول جاء معهما أناس، وانجيل آخر أنهن كن نسوة كثيرات، وأيـضاً الملاك الذي دحرج الحجر، وأحدث زلزلة عظيمة رأته مريم المجدلية جالساً عليه (الحجر) هذا حسب متي (٢٨: ١ ـ ٣) وأما مرقس فأنه يقول أن مريم المجدلية رأت الملاك في داخل القبر علىٰ اليمين (مر: ١٦: ٤ ـ ٦)، وأما لوقا، فأنه يؤكد أن النسوة لم يجدن الملاك لا جالساً علىٰ الحجر، ولا داخل القبر، بل يذكر فيما هن محتارات إذا رجلان وقفا بهن بثياب براقة (لو ٢٤: ١ ـ ٤) واما يوحنا فأنه كما ذكرنا يذكر

أن مريم المجدلية لم تر ملاكاً قط، بل ذهبت إلىٰ بطرس وجاءت به، وبعد مضي بطرس والتلميذ نظرت مريم المجدلية إلىٰ القبر فرأت ملاكين بثياب بيض (يو: ٢٠: ١ ـ ١٣).

فهذه القصة لم يروها شاهد عيان، ويبقىٰ السؤال: كيف ينقل كاتب شيئاً لم يره؟ فيأتي الجواب كالسابق أن الوحي والالهام الالٰهي هو الذي القىٰ في روع الكاتب تدوين هذه القصة، واعتقد أن هذا الجواب أقبح من السكوت مع هذه التناقضات في هذه القصة.

فلا يبقىٰ لنا سوىٰ أن نقول: «أن مسألة صلب المسيح عليه السلام وموته وقيامته كانت نتيجة ما انتشر بين الناس من أحاديث، واعتقد أن الكتب الاخرىٰ التي حرّمتها الكنيسة لوكانت موجودة لكشفت لنا الكثير من الحقائق، ولكنّها للاسف ضاعت أو ضيّعت.

وأما مسألة ظهوره لتلاميذه فهي الاخرىٰ ليست بأحسن حالٍ من الصلب والقيامة وما ذكرته من الاختلافات فيها يكفي لردها..

والمسألة الاخرىٰ المهمة أيضاً هي يهوذا الاسخريوطي، فالاناجيل الأربعة لا تذكر عنه شيئاً إلّا أنجيل متي (٢٧: ٣) حيث يذكر (أن يهوذا ندم ورد الثلاثين من الفضة إلىٰ رؤساء الكهنة والشيوخ ثم مضىٰ وخنق نفسه، فأخذ رؤساء الكهنة الفضة واشتروا بها حقل الفخّاري مقبرة للغرباء).

وأما في اعمال الرسل فيذكر لوقا نهاية أُخرىٰ ليهوذا إذ ينقل

عن بطرس في حديثه عن يهوذا «فأن هذا أقتنىٰ حقلاً من أجرةِ الظلم واذ سقط علىٰ وجهه انشق من الوسط فانسكبت احشاؤه كلها. وصار ذلك معلوماً عند جميع سكان أورشليم حتىٰ دعي ذلك الحقل في لغتهم حقل دما أي حقل دم» اعمال الرسل: ١: ١٥ ـ ٢٠)، وكلام بطرس كان بين التلاميذ الذين يذكرهم لوقا بأسمائهم، ومن ضمنهم (متي) صاحب الإنجيل، فكيف خفي علىٰ (متي) نهاية يهوذا وانه هو الذي أشترىٰ الحقل لا رؤساء الكهنة، وانه سقط وانسكبت احشاؤه فمات، ولم يمت مخنوقاً، فاذا كانت هذه القصة حسب اعمال الرسل مشهورة ومعلومة عند سكان أورشليم كيف خفي ذلك علىٰ (متي) الرسول؟

اذن اعتقد ان مسألة خيانة يهوذا صحيحة ولكن كيفية موته ونهايته متناقضة، لذا فأن التفسير الاسلامي لمسألة صلب المسيح عليه السلام وأنه لم يصلب ولكن شبه لهم هي الصحيحة، ويؤيد ذلك انجيل برنابا الذي يذكر أن يهوذا هو الذي صلب بدل عيسىٰ عليه السلام ويحتمل أن نهايته هذه كانت قد ذكرت في الكتب (المنحولة) الاخرىٰ التي رفضتها الكنيسة.

والآن يمكننا أن نفهم لماذا رفضت الكنيسة في القرن الرابع الميلادي كل تلك الكتب، واختارت كل ما يصب في صالح العقيدة التي تريد أن تلبسها للمسيح عليه السلام وتعاليمه فتجعلها ديانة منسوبة إليه

أسماً.

والمسألة الأخرى التي اراها مهمة هي أن الاناجيل كلها والاسفار لم تذكر شيئاً واحداً عن مريم العذراء عليها السلام وهي والدة المسيح عليه السلام والشخصية المقدسة الثانية في المسيحية بعد المسيح عليه السلام فهي لم يذكر عنها أنها رأت المسيح عليه السلام بعد قيامته ولم تحضر عند قبره، وهل يعقل أن المسيح عليه السلام يظهر لمريم المجدلية التي أخرج منها سبعة شياطين، ولا يظهر لأُمه العذراء مريم عليها السلام ليهدّئ ويخفف من الآمها وحزنها؟ ألم تكن هي الاجدر بالظهور لها، لأنها أمه أوّلاً ولمنزلتها الرفيعة المباركة ثانياً؟ واعتقد أن لهذا السكوت دلائل ومؤشرات وتساؤلات نتركها لعلماء الكنيسة ليجيبوا عنها..

كانت هذه خلاصة عن صلب المسيح عليه السلام وقيامته وأما قصة الفداء والخطيئة الاصلية فنشير إليها مختصراً.

الفداء والخطيئة الأصلية

أن من العقائد الاساسية والمهمة في الديانة المسيحية، والتــي كنت أعتقد بها هي مسـألة الفداء، ومن أجل فهم هذه العقيدة يــجب الرجوع، إلىٰ الخطيئة الأولىٰ التي اقترفها أبونا آدم عليه السلام.

فنحن كـمسيحين كـنا نـعتقد أن آدم وحــواء عليهما السلام وبســبب خطيئتهما منذ الزمن الأوّل، فأن الإنسان قطع علاقته مع ربه وخالقه، وتخلىٰ عن الله سبحانه، وآدم عليه السلام بهذه الخطيئة جعل ذريته كلّها في حال ابتعاد وانفصال عن الله، وكان نتيجة هذا الانفصال موت الإنسان، وهكذا دخل الموت إلىٰ جميع الناس كعقاب للخطيئة.

وهذا الموت هو روحي وأبدي وانتقلت هذه الخطيئة إلىٰ ذريته جيلاً بعد جيل، فيولد الإنسان وهو حامل لها، ومتلوث بها، وبسبب هذه الخطيئة خسر الإنسان الطهارة وبانت عورته وشهواته وأهواؤه الآثمة.

وآدم عليه السلام بعمله هذا هدم صورة الله فيه وحطم التضامن والمحبة بينه وبين الله، ولكن بما أن آدم عليه السلام قد تاب من خطيئته وقبل الله توبته، لم يتخلَ الله عنه نهائياً، وذلك بسبب توبته الصادقة، بل وعده بالخلاص وبانتصاره علىٰ عدوه اللدود (الشيطان)، ووعد بإرسال المخلّص والمفدي الذي يفدي البشرية عن خطاياها، ويحمل هو تلك الخطايا عنهم، فتفتح أبواب الملكوت بمجيئه وتتم المصالحة بين الله والإنسان من خلاله.

وعندما تم الزمان بعد طول انتظار أرسل الله سبحانه ابنه الحبيب ليفدي البشرية كلها عن خطاياها ويفتح عهداً جديداً بين الله والإنسان، وبالآلام والصلب الذي يتحمله هذا الابن (الوحيد) ترفع الخطيئة عن كاهل الإنسان ويتطهر منها، ليعيش حياة جديدة وسعيدة مع هذا الحدث الإلهي الموعود.

هذا بأختصار ما كنا نؤمن به من عقيدة الفداء، ولهذا ومن اجل أكمال فصول هذه العقيدة رأينا كيف أن العهد الجديد يذكر لنا قصة آلام المسيح عليه السلام وصلبه وقيامته ويؤكد عليها.

ومما تجدر الاشارة إليه أن هذه العقيدة (الخطيئة الاصلية والفداء) لا نجدها في الاناجيل الأربعة المهمة، فهذه الأناجيل لم تتطرق لا من قريب ولا من بعيد إلىٰ موضوع آدم وخطيئته الأولىٰ، وأنما ظهرت هذه العقيدة من رسائل بولس ولا سيما رسالته إلىٰ

الرومانيين، فهو يقول في (٥: ١٢) (من أجل ذلك كأنما بانسانٍ واحد دخلت الخطيئة إلىٰ العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت إلىٰ جميع الناس اذ أخطأ الجميع، فانه حتىٰ الناموس كانت الخطيئة في العالم).

فبولس هو أوّل من تكلم عن الخطيئة الاصلية وأن البشرية كلها قد تلوثت بسبب هذه الخطيئة، ويعود بولس مجدداً ليبين أنه كما بانسان واحدٍ دخلت الخطيئة والموت إلىٰ العالم كذلك الحياة والخلاص يكون بإنسان واحد وهو المسيح عليه السلام، إذ يقول بولس في رسالته إلىٰ الرومانيين (٥: ١٧ ـ ١٩) «لانه كان بخطيئة الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولىٰ كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح عليه السلام. فإذاً كما بخطيئة واحدة صار الحكم إلىٰ جميع الناس للدينونة هكذا ببرٍ واحد صارت الهبة إلىٰ جميع الناس لتبرير الحياة».

فهنا وجه شبه بين آدم عليه السلام والمسيح عليه السلام وهو أنّه كما كان آدم سبب الخطيئة والموت لكل الذين يتعلقون به بالولادة الطبيعية كذلك المسيح عليه السلام هو علة التبرير والحياة لجميع الذين يتعلقون به بالولادة الروحية[1].

فيمكننا القول بأن واضع حجر الاساس لهذه العقيدة هو بولس

---

(١) تفسير العهد الجديد: ٣٩٠.

وليس المسيح عليه السلام. وهنا أيضاً نشير إلىٰ بعض التساؤلات والنقاط حول هذه العقيدة فنقول:

أن مسألة مهمة وأساسية في العقيدة المسيحية (كمسألة الخطيئة الأصلية والفداء) هل يمكن القول أن المسيح عليه السلام تجاهلها أو نساها فلم يتحدث عنها (علىٰ الأقل حسب ما تنقل الأناجيل الأربعة الملهمة) وسكت، وجاء بعد ذلك رجل متعصب لليهودية (بولس) ومضطهد وقاتل لأتباع المسيح عليه السلام فيعلن عن هذه العقيدة فقبلتها الكنيسة واعتبرتها ركناً من اركانها، هل يليق هذا بالمسيح عليه السلام ؟ ومع أن هدفه (والقول للمسيحين) خلاص البشرية وفدائها، ولكنه لا يوضح المهمة الأساسية التي أرسل من أجلها، ولا يفهم الناس أنهم كلهم ملوثون بخطيئة آدم عليه السلام الأولىٰ وهو الذي ينقذهم من هذه الخطيئة، بل يوكل الامر إلىٰ بولس ليبينها ويعلنها مع أنه ليس من التلاميذ الذين أختارهم المسيح عليه السلام في حياته.

أو لم يكن من الأُولىٰ للمسيح عليه السلام أن يبين هذه العقيدة بشكل واضح لتلاميذه علىٰ أقل تقدير، ليتسنىٰ لهم توضيحها للناس وخصوصاً أنه أرسلهم إلىٰ كل الامم ليبشروا بالإنجيل وتعاليمه.

فنحن نجد أن الأناجيل الأربعة ولا سيما انجيلي متي ويوحنا (الذين يزعم المسيحيون أنهما منسوبان لمتي ويوحنا الرسولين) لا تتحدث ولا تشير إلىٰ خطيئة آدم عليه السلام أبداً، بل حتىٰ مرقس (تلميذ

الوصي والرسول بطرس) هو الآخر لم يذكرها في إنجيله مع أنه حسب ما ينقل كان من المقربين لبطرس، بل أن انجيله كما يذكر هو زبدة تعاليم بطرس، وإضافة إلىٰ ذلك فقد كان مرافقاً لبولس نفسه فكيف لم يسمع بهذه المسألة المهمة ولم يدونها، وكذلك الحال بالنسبة إلىٰ لوقا فأنه كان رفيق بولس في بعض أسفاره، ولكنه لم يذكر شيئاً عن الخطيئة الاصلية والفداء.

وتساؤلات اخرىٰ كلها تثير الشكوك حول هذه العقيدة، التي لم ينطق بها المسيح عليه السلام ولا تلاميذه ورسله، بل كانت من وحي وخيال بولس، وأعتقد أن بولس باضطهاده وقتله للمسيحيين بشدة قبل توبته أشعرته بعظم الخطيئة التي أرتكبها بعد التوبة والايمان، وللخلاص من تأنيب الضمير وتبرير تلك الافعال والخطايا التي قام بها، جاء بهذه الفكرة وألبس البشرية كلها ثوب الخطيئة «والمصيبة إذا عمّت هانت» هذا كله إذا أحسنّا الظن بالقديس بولس وإيمانه وتوبته الصادقة وصحة الرسائل المنسوبة إليه.

إضافة إلىٰ كل هذا يبقىٰ هناك سؤال مهم يطرح نفسه حول هذه العقيدة وهو: ما ذنب الناس منذ القرون الأُولىٰ للبشرية أي منذ زمن آدم عليه السلام حتىٰ زمن المسيح عليه السلام ، فهل كلّهم خطاة ولم يغفر لهم، مع أن فيهم كما يذكر الكتاب المقدس بعهديه، أنبياء وأولياء وأتقياء وشهداء استشهدوا في سبيل الله كما يذكر عيسىٰ عليه السلام نفسه في العهد الجديد

عن مقتل زكريا، فماذا كان مصيرهم؟

وللحرج الذي يقع فيه المسيحيون من هذا السؤال يجيبون عنه جواباً أعتقد أنه مخالف للفطرة والعقل البشري وفيه إهانة كبيرة إلىٰ كل الأنبياء العظام فيقولون «أما مصير الذين ماتوا قبل هذه الساعة فقد هلك الخطاة، وأما أصحاب القلوب النقية ـ يقول المسيحيون ـ فقد ماتوا علىٰ رجاء الخلاص، وهذا ما يفسر بوضوح نزول المسيح عليه السلام إلىٰ الجحيم ليحرر هذه النفوس التي كانت تنتظر مجيئه»[١].

فعلىٰ هذا يجب أن نقول أن نوحاً نبي الله وإبراهيم خليل الله وموسىٰ كليم الله وداود وإسحاق ويعقوب والإنبياء العظام كلهم (صلوات الله وسلامه عليهم) يصلون الجحيم منتظرين نزول المسيح عليه السلام إليهم لأنقاذهم!!!

فأي عقل سليم يقبل مثل هذا الهراء؟ إضافة إلىٰ ذلك فأنه مخالف للعهد الجديد نفسه إذ يقول متي في إنجيله (٨ ـ ١١) «وأقول لكم ان كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السموات».

وأيضاً من تصريح المسيح عليه السلام من أن الاطفال والأولاد لهم ملكوت السموات، فان كان المسيح عليه السلام يعظم الأنبياء في أماكن

---

(١) المسيح في الفكر الإسلامي: ٣٤٥.

كثيرة من العهد الجديد ويؤكد أنهم في ملكوت السموات، فلا أدري من أين جاءوا بمثل هذه الاقاويل ونسبوها زوراً وتحريفاً إلىٰ السيّد يسوع المسيح عليه السلام .

فهل يعقل أن يختار الله سبحانه في هذه الدنيا أنبياء وأولياء قضوا جلّ اعمارهم في طاعته وعبادته وقدموا أرواحهم وأنفسهم في سبيل تبليغ تعاليمه وهداية الناس إليه، فمنهم الخليل والكليم وغيرهما الكثير، وبعد موتهم يلقيهم في جهنم جزاءً لخطيئة آدم عليه السلام وإلىٰ أن يرسل المسيح عليه السلام ويخلصهم!!

وفي الواقع فأني وقفت متحيراً وذاهلاً كيف كنت أقبل مثل هذه العقائد واعتبرها من الامور المسلّمة، ليس سوىٰ أن الكنيسة قد أعتبرتها وقبلتها وأن كانت مخالفة للعقل والفطرة.

وأختم الحديث عن هذا الموضوع فأقول أن هذه العقيدة مخالفة للكتاب المقدس أيضاً، إذ نجد عكس هذه المسألة تماماً في كتاب العهد القديم، مثلاً يقول حزقيل النبي (١٨: ٢٠) «من أخطأ فهو الذي يموت والابن لا يحمل خطيئة أبيه، وكذلك الأب لا يحمل خطيئة أبنه. فالبار سيحاسب علىٰ بره، والشرير سيحاسب علىٰ شروره». وغيرها الكثير، ولأني تعمدت الاختصار قدر الامكان في هذا الكتاب اكتفي بهذا المقدار، علىٰ أني سأتوسع في البحث في هذا الموضوع في رسالة مستقلة بإذن الله، ونفرق هناك بين الخطيئة

الفردية والجماعية كما يزعم المسيحيون وكما يـفسرون مـثل هـذه الكلمات في الكتاب المقدس.

من هو المسيح (ع)؟

السؤال المهم الذي يطرح في العقيدة المسيحية هو: مـن هـو المسيح عليه السلام؟ وللاجابة عن هذا السؤال نلجأ إلىٰ الكتاب المـقدس (العهد الجديد). فيعرف لنا المسيح عليه السلام بأنه (ابن الإنسان، ابن الله، الله المتجسد) فالعهد الجديد يعطي هذه الالقاب للمسيح عليه السلام، ونحن هنا بدورنا نستعرض هذه الاسماء لنرىٰ هل نستطيع أن نوفق بين كل هذه الصفات والألقاب بأن تكون لكائن واحد لا غير؟

ابن الإنسان

من يطالع العهد الجديد بدقة يجد أن المسيح عليه السلام يؤكد علىٰ هذا اللقب له بصورة كبيرة، وأني هنا أقدم أحصاءً بسيطاً عـن هـذا اللقب في الأناجيل الأربعة: فقد ذكر المسيح عليه السلام حسب إنجيل متي هذا الأسم (٢٧ مرة) لاحظ متي: (٨: ٢١، ٩:٦، ١٠: ٢٣، ١١ : ١٩،

١٢ : ٨، ١٣ : ٣٢، ١٣ : ٤١، ١٣ : ٣٧، ١٣ : ٤٠، ١٦ : ١٤، ١٦: ٢٧، ١٧ : ٩، ١٧: ١٢، ٢٤: ٢٨، ٢٤ : ٤٠، ٢٥ : ١٣، ٢٥: ٣١، ٢٦: ١، ٢٦:٢٣، ٢٦: ٤٦، ٢٦: ٦٤).

وحسب إنجيل مرقس (١٢ مرة) انـظر مـرقس: (٢: ١٠، ٢ : ٢٨، ٨ : ٣١، ٩: ١٠، ٩ : ٣١، ١٠ : ٣٣، ١٠: ٤٤، ١٣: ٢٥، ١٤: ٢١، ١٤: ٤١، ١٤ : ٦٢). وحسب انجيل لوقا (٢١ مرة) انظر لوقا: (٥: ٢٤، ٦: ٥، ٧: ٣٤، ٩: ٢٢، ٩: ٤٥، ١١: ٣٠، ١٢: ٨، ٢: ١٠، ٦: ٢٢، ٩: ٥٦، ٩: ٥٧، ١٢: ٤٠، ١٧: ٢٢، ١٧: ٢٥، ١٧: ٢٦، ١٧: ٣٠، ١٨: ٨، ١٨: ٣٢، ١٩: ١٠، ٢١: ٢٧، ٢١: ٣٦، ٢٢: ٢٢، ٢٢: ٤٨، ٢٢: ٦٨).

وحسب إنجيل يوحنا (١٠ مرات) انـظر يـوحنا (١: ٥١، ٣: ٣١، ٥: ٢٧، ٦: ٢٧، ٦: ٥٣، ٦: ٦٣، ٨: ٢٨، ١٢: ٢٣: ١٢: ٣٤، ٣: ١٤).

وأعتقد أن تأكيد المسيح عليه السلام علىٰ أنه ابن انسان فـيه دلالة وإشارة واضحة لجهته وجنبته الانسانية، فأنه كـان يـمارس حـياته العادية كباقي البشر، فهو يجوع ويعطش وينام ويفرح ويتألم ويحتاج في حياته إلىٰ الكثير من الامور الأخرىٰ، فهو بتأكيده هذا يـريد أن يبين أنه لا يعدو كونه إنسـاناً كسائر الناس، ولكنه يختلف عنهم بأنه نبي يوحىٰ إليه، فهو علىٰ ارتباط مع السماء، كباقي الانبياء.

ولكن المسيحيين يرون في هذا اللقب بـعداً آخـر، وهـو أن

المسيح عليه السلام شاركنا في حالتنا من الاتضاع والألم، ولكن بما أنه كان ابن الإنسان ذا الاصل السماوي، فهو آدم الجديد، رأس البشرية المجددة فهو آدم السماوي الذي يلبس القائمون من بين الاموات صورته[1].

ويعتقدون أن ابن الإنسان عبارة غامضة توحي بجانب من السمو العالق بشخصية المسيح عليه السلام وتحجبه في الوقت نفسه. فعبارة ابن الإنسان عند المسيحيين لها شمول أعمق بكثير مما نفترضه للوهلة الأُولىٰ، وهذه العبارة (حسب المسيحيين) عندما يتكلم بها يسوع المسيح عليه السلام فهو يريد أن يحقق بذلك ما كان مذكوراً في العهد القديم، حسب رؤيا دانيال الذي يتحدث عن ابن الإنسان وعن القديم (يقصد به الله) محاكماً جميع الناس والملوك (دنيا: ٧).

فكان التقليد اليهودي واعيا للميزة الفائقة لابن الإنسان، ولوجوده السابق للعالم[2].

ولهذا فهم اليهود من خلال هذا اللقب أنه تجديف كما يذكر ذلك إنجيل متي: (متي: ٢٦: ٦٥) (فأجاب رئيس الكهنة، وقال له أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله، قال له يسوع أنت قلت، وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان

---

(١) معجم اللاهوت المسيحي: ٣٣.
(٢) المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية: ٢٤٩.

جالساً عن يمين القوة وآتيا علىٰ سحاب السماء... فقال رئيس الكهنة قد جدف)، فكان من الواضح لهم أن يسوع كان يدعي أكثر من ذلك، اذ رفع نفسه إلىٰ درجة الالوهية(١).

وفي الواقع فالانسان يبقىٰ مندهشاً عند سماعه لمثل هذا الكلام، فما معنىٰ أن يكون المسيح عليه السلام انساناً وابن انسان ولكنه الله في نفس الوقت وابن الله، نعم من الممكن أن يصل إلى درجة عالية من القرب الالٰهي من خلال العبادة والطاعة لمولاه، فيقول للشيء كن فيكون، أما أن يكون الانسان انساناً وإلهاً في آن واحد، فهو مما لا يحتمله العقل البشري.

ابن الله

أن الكنيسة تعتبر هذا اللقب هو السر الذي يشير إلىٰ حقيقة المسيح عليه السلام وتصر علىٰ تسمية المسيح عليه السلام به. إذ من خلال قبول هذا اللقب للمسيح عليه السلام تكتمل فصول عقيدة الفداء والخلاص، وكذلك عقيدة الثالوث الاقدس، إذ أن المسيح عليه السلام في هذا الثالوث هو الاقنيم الثاني.

ومما يثير الدهشة أن المسيح عليه السلام لم يُسمَّ بهذا الاسم ولا مرة واحدة في الأناجيل الموافقة (متي، مرقس، لوقا)، بل كما رأينا فهو

---

(١) نفس المصدر.

دائماً يطلق علىٰ نفسه ابن الإنسان، وما تذكره الأناجيل لهذه التسمية (ابن الله) هو إما من تعبير الكاتب، أو يذكره نقلاً عن لسان آخرين، بل كان كل الذي ذكره في بعض المواضع من هذه الأناجيل هو أنه يشير إلىٰ الله سبحانه بكلمة أبي، والتي سوف نتعرض لها من خلال البحث.

نعم حسب انجيل يوحنا فأنه يسمي نفسه (ابن الله) في ثلاثة مواضع، وكذلك يشير إلىٰ نفسه بالابن وإلىٰ الله بالأب في بعض كلامه، ويعتقد المسيحيون أن هذا اللقب ليس مجازياً في حق المسيح عليه السلام بل هو حقيقي.

وبعد تدوين العهد الجديد اعلنت الوهيته بشكل علني ورسمي، فالايمان المسيحي يعلن أن يسوع هو ابن الله، وهو الله ذاته[١].

ولكن بالرغم من هذا فهم يعتقدون أن الله الأب له امتيازات عن الابن السماوي له، (فان كانت كرامة يسوع تجعله مساوياً لله، فأن هذا لا يمنع الأب من الاحتفاظ بامتيازاته الأبوية، بشهادة المسيح عليه السلام نفسه، وشهادة كتبة العهد الجديد، فالأب مصدر كل الاشياء وغايتها، ولذا فالابن الذي لا يعمل إلّا تبعاً له سيخضع له في آخر الازمنة، خضوعه لرأسه)[٢].

والحديث عن ابن الله سيقودنا طبيعياً إلىٰ البحث عن الثالوث الاقدس، ونقف هنا عند سر الاسرار (الثالوث الاقدس) ونبينه من

---

(١) المسيح في الفكر الإسلامي: ٢٣٣(٢) معجم اللاهوت المسيحي: ٢٤.

وجهة نظر المسيحيين. ثم نناقش مسألة (ابن الله) والتثليث معاً إن شاء الله.

الثالوث الاقدس

أن عقيدة الثالوث الأقدس تعتبر السر الأوّل في العقيدة المسيحية، فهي الاساس الذي بنيت عليه المسيحية، كما أن التوحيد هو الأساس في الإسلام، فنحن في كل عمل كنا نقوم به نبدأ (باسم الاب والابن والروح القدس) وهو أوّل شيء تعلمته منذ نعومة أظفاري، فعند الأكل نبتدأ به، وعند الدخول إلىٰ الكنيسة وعند الصلاة، ولهذا لا أعتقد أن هناك عقيدة مترسخة في نفس كل مسيحي كعقيدة التثليث، ولكن بالرغم من هذا ففهمها مشكل جداً، بل مستحيل فنحن نعتقد أن التثليث ولانه يرتبط بحقائق الهية فائقة الوصف، فهو بعيد عن متناول عقل الإنسان، ولذا فهو يبقىٰ سراً غامضاً لا يفهم. فهو فوق الادراك البشري.

وقبل الدخول في البحث عن هذه العقيدة، لا يفوتني أن أذكر من أن المسيحيين لا يعتقدون بثلاثة الهة كما يتصور البعض، بل هم

يؤمنون بإله واحد له ثلاثة أقانيم وهي (الأب والابن والروح القدس).

في الواقع أن كلمة (التثليث أو الثالوث) لم ترد في الكتاب المقدس، ويظن أن أوّل من صاغها واستعملها هو ترتوليان في القرن الثاني للميلاد، ثم ظهر سبيليوس في منتصف القرن الثالث وحاول أن يفسر العقيدة بالقول «أن التثليث ليس امراً حقيقياً في الله، لكنه مجرد اعلان خارجي، فهو حادث مؤقت وليس ابدياً» ثم ظهر أريوس الذي نادىٰ بأن الأب وحده هو الازلي بينما الابن والروح القدس مخلوقان متميزان عن سائر الخليقة، وأخيراً ظهر اثناسيوس الذي وضع أساس العقيدة (الثالوث الاقدس)[1] وبعد مناقشات وتشاجرات بين علماء المسيحية وكبار قادة الكنيسة الذين افترقوا بين مؤيد لأريوس، ومؤيد لأثناسيوس دفعت بالامبراطور قسطنطين إلىٰ الدعوة لعقد أوّل مجمع مسكوني في عام ٣٢٠ ميلادي في نيقية ـ وحضر هذا الاجتماع أكابر العلماء والاساقفة، وبعد شهر أو أكثر من النقاش والجدال، انتصرت عقيدة أثناسيوس وكسبت أكثر الاراء، وتم تشكيل عقيدة التثليث والتي نصّت علىٰ ما يلي:

«نحن نعبد إلهاً واحداً في الثالوث، والثالوث في التوحيد لأن هناك شخصاً للأب وآخر للابن وآخر لروح القدس، أنهم ليسوا ثلاثة الهة ولكن إله واحد. فكل الاشخاص الثلاثة هم أزليون معاً

---

(١) قاموس الكتاب المقدس: ٢٣٢.

ومتساوون معاً، وهكذا فأن الإنسان الناجي هو ذلك الذي يعتقد بالثالوث»[١].

ولقد تبلور قانون الايمان الاثناسيوسي علىٰ يد أغسطينوس في القرن الخامس، وصار القانون عقيدة الكنيسة الفعلية من ذلك التاريخ إلىٰ يومنا هذا. ففي عام (٤٥١) الميلادي وفي مجمع خلقيدونيا المسكوني تم إقرار التثليث علىٰ أنه موثوقة رسمية ولا تقبل المناقشة، والكلام ضد الثالوث يعتبر كفراً ومن يقترفه يستحق الموت أو التشويه.

ولكن استمر الاصلاح في هذه العقيدة وترميمها وتطويرها، إذ يعترف المسيحيون أن هذه العقيدة بحاجة إلىٰ تنبير «ولا يستطيع دارس هذه العقيدة أن ينسىٰ المصلح جون كلفن، الذي عاش في القرن السادس عشر، ونبر علىٰ التساوي التام بين الاقانيم الثلاثة في هذه العقيدة، التي يلزمها مثل هذا التنبير من وقت إلىٰ آخر علىٰ مر الزمن)[٢].

والقانون الذي وضعته الكنيسة (قانون الايمان) يشير بوضوح إلىٰ هذه العقيدة.

وأذكر أني حفظت (قانون الايمان) في فترة (التناول) في سن

---

(١) نظرة عن قرب في المسيحية: ٣٧.

(٢) قاموس الكتاب المقدس: ٢٣٣.

السابعة تقريباً ونصه هو:

«أؤمن باله واحد، أب ضابط الكل خالق السماء والارض وكل ما يُرىٰ وما لا يُرىٰ، وأؤمن بربٍ واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور، اله من اله، نور من نور، اله حق من اله حق، مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، الذي من اجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد بالروح القدس ومن مريم العذراء، وصار انساناً وصُلِبَ عنا علىٰ عهد بيلاطس البنطي، تألم وقُبِرَ، وقام في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلىٰ السماء وجلس عن يمين الأب، وسيأتي بمجدٍ ليدين الاحياء والاموات الذي ليس لملكه انقضاء. وأؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب والأبن، الذين هو مع الأب والأبن، يُسْجَد له ويمُجّد، الناطق بالأنبياء، وأؤمن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة ورسولية، واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، واترجىٰ قيامة الموتىٰ والحياة في الدهر الآتي، آمين»[1].

فالمسيحيون يلخصون عقيدة التثليث في النقاط الستة التالية:

١ ـ الكتاب المقدس يقدم لنا ثلاث شخصيات يعتبرهم شخص الله.

٢ ـ هؤلاء الثلاثة يصفهم الكتاب بطريقة تجعلهم شخصيات

---

(١) انظر كتاب تعاليم الكتاب المقدس: ص ٦٠.

متميزة الواحدة عن الاخرىٰ.

٣ ـ هذا التثليث في طبيعة الله ليس مؤقتاً أو ظاهراً بل أبدي وحقيقي.

٤ ـ هذا التثليث لا يعني ثلاثة الهة بل أن هـذه الشـخصيات جوهر واحد.

٥ ـ الشخصيات الثلاث الأب والابن والروح القدس متساوون.

٦ ـ لا يوجد تناقض في هذه العقيدة(١).

والمسيحيون يؤكدون علىٰ التوحيد، وان خـالق هـذا العـالم والذي يدير شؤونه هو واحد لا أكثر، ولكن في تعريفهم لحقيقة هذا الواحد يقولون أنه يتألف من ثلاثة أقانيم أو أشـخاص وهـم (الأب والابن والروح القدس) وهم متساوون في القدرة والمجد.

ويؤكدون أن هذه المعرفة كانت تـدريجية، فـالله سـبحانه لم يكشف عن نفسه مرة واحدة، لشدة نوره الذي يبهر العيون، بل تمت معرفته في يسوع المسيح عليه السلام. فالخالق العظيم كانت حقيقته مجهولة للانسانية، ولم يستطع أحد التعرف علىٰ كنهه، وبمجيء المسيح عليه السلام كشف ربنا عن كنهه وحقيقته بتجسده في عيسىٰ المسيح عليه السلام(٢).

وأما إثـبات هـذه العـقيدة مـن الكـتاب المـقدس، (والكـلام للمسيحيين) فالعهد القديم لم يوضح الثالوث الاقدس، بل كان جـلّ

---

(١) قاموس الكتاب المقدس: ٢٣٢. (٢) المسيح في الفكر الاسلامي: ٢٥٨.

اهتمامه وهدفه هو أن يركز مفهوم وحدانية الله سبحانه في نفوس بني إسرائيل، وكفّهم عن عبادة الاوثان، وهذا الموضوع احتاج إلىٰ وقت طويل ليفهمه ويعتقده هذا الشعب، فنحن نرىٰ أن موسىٰ عليه السلام عندما صار إلىٰ ميقات ربه فتأخر، رجع بني إسرائيل إلىٰ عبادة العجل الذهبي، فكانت عبادة الاوثان ما تزال مؤثرة في نفوسهم، ولهذا فمن يطالع العهد القديم يرىٰ بوضوح أن وحدانية الله بارزة في أكثر تعاليمه بل هي أوّل الوصايا، كما ذكر في (تث: ٦ ـ ٤) (اسمع يا إسرائيل أن الرب الهنا رب واحد».

ولذا فنحن لا نعثر في العهد القديم علىٰ أي إشارة إلىٰ هذا الثالوث، نعم استعملت في العهد القديم كلمة (الأب) وأرادوا به الله سبحانه، فهو أب الابرار والصالحين ولكن كان يفهم منها المعنىٰ المجازي لا الحقيقي، وكذلك كلمة الابن هي الاخرىٰ استعملت في العهد القديم وأيضاً كان يفهم المعنىٰ المجازي لا البنوّة الحقيقية، والروح القدس هو الآخر مذكور كثيراً، ولكن له معاني كثيرة ومختلفة، إذ كان يقصد منه مثلاً، نفخة الحياة، النفس، الريح، وغيرها... وكأن الله سبحانه (والقول للمسيحيين) كان يهيء البشرية للخطة النهائية التي سيكشف فيها عن نفسه بأنه (أب، وابن، وروح القدس) في العهد الجديد[1].

---

(١) نفس المصدر: ٢٥٨.

وعند مجيء المسيح عليه السلام أكد هو الآخر علىٰ وحدانية الله سبحانه وذلك من خلال ما نجده في العهد الجديد، مثلاً نرىٰ في جوابه لأحد الكتبة عن أوّل الوصايا، قال: «الوصية الأولىٰ هي اسمع يا إسرائيل أن الله ربنا ربّ واحد) (مر: ١٢: ٢٩).

وهو بمجيئه هذا كشف السر الالهي الذي يصعب علىٰ عقل الإنسان تصوره وفهمه، ولكن المسيح عليه السلام أيضاً أخذ يكشف ذلك السر تدريجياً، فاستعمل كلمة (الأب) وأراد بها الله سبحانه وتعالىٰ، فهو أب لجميع المؤمنين والأبرار والصالحين، وهو الأب الرحيم العطوف بأبنائه وخلقه، أنظر (متي: ٣٠١٠، ٥ ـ ١٦) (مر: ١١: ٢٥ ـ ٢٦) وغيرها.

ولكنه (حسب المسيحيين) استعمل هذه الكلمة بالمعنىٰ الحقيقي عندما كان يخاطب الله ويقول (أبي) انظر (متي: ١١: ٢٥ ـ ٢٧) وغيرها، فالله الأب هنا هو الأب الخاص للمسيح عليه السلام فانتقل اللفظ من المعنىٰ المجازي إلىٰ المعنىٰ الحقيقي في شخص يسوع عليه السلام، فكان لفظ الأب إشارة إلىٰ الاقنيم الأوّل!

وأما كلمة الابن فقد أشرنا إليها سابقاً، فالمسيح عليه السلام أيضاً استخدم كلمة ابناء الله، في حق المؤمنين انظر (متي: ٥: ٩) (٥: ٤٥) وغيرها، ولكنه أراد منها المعنىٰ المجازي، في حين أنه عندما استعملها لنفسه فأنه أراد بها المعنىٰ الحقيقي، فهو الابن الخاص

والوحيد للباري تعالىٰ! انظر (يو: ٩ ـ ٣٥) (١٠: ٣٧) وغيرها.

وأما روح القدس فهو الآخر مذكور في العهد الجديد، ولكنه لم يفهم منه أنه أحد الأقانيم الثلاثة المؤلفة لله سبحانه، إلا يوم العنصرة إذ تجلىٰ بوضوح في ذلك اليوم (أي عند نزول الروح القدس)[١].

فنحن رأينا أن الأقانيم الثلاثة مذكورة في العهد الجديد وهي منفصلة.

وأما أنه هل ذكرت أسفار العهد الجديد هذه العقيدة الاساسية في المسيحية بوضوح أم لا؟ نقول: نعم هناك إشارة واحدة فقط صريحة في الأناجيل تشير إلىٰ التثليث أنظر إنجيل (متي: ٢٨: ١٩) وهي «اذهبوا وتلمذوا جميع الامم، وعمّدُوهم باسم الأب والابن والروح القدس».

نعم كانت هناك إشارة أخرىٰ في إنجيل يوحنا (٥: ٧) ولكن الباحثين أعترفوا في القرن التاسع عشر بأن كلمات (أب، وابن، وروح القدس) هي استنتاجات، وأن نصاً بهذا لم يعثر عليه في النسخ القديمة، ولذلك فأن هذه الكلمة قد حذفت من إنجيل يوحنا، فلا توجد في نسخ العهد الجديد المعاصرة[٢].

وأيضاً يزعم بعض المسيحيين أن في رسالة بولس الثانية إلىٰ أهل كورنثوس، إشارة واضحة إلىٰ التثليث وهي (٢ كو: ١٣: ١٤)

---

(١) المسيح في الفكر الإسلامي: ٢٧٠(٢) نظرة عن قرب في المسيحية: ٣٥.

«نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم» ولكن الاقانيم غير مذكورة بالاسم.

وفي الواقع فأن عقيدة التثليث لم تذكر بشكل صريح في العهد الجديد إلّا في إنجيل متي، ولذا نجد أن المسيحيين يعترفون بهذه المسألة هم أيضاً. فأن لفظة التثليث والثالوث، غير مذكورة ويقدمون تعليلاً لذلك «فالعهد الجديد لا يحتوي علىٰ الفاظ (ثالوثية) وليس هناك نصوص تأتي بعقيدة يعبر عنها بالفاظ مجردة، بل ان الله كشف عن حياته الخاصة بتدبيره الخلاصي حيث يدنو البشر من الأب في الروح والابن»[١].

ولا يفوتني هنا أن أذكر أن التثليث له جذوره العميقة في التاريخ، فهو ليس وليد المسيحية، بل كان منتشراً في مصر وفلسطين والصين والهند وغيرها من البلاد قبل مجيء المسيح عليه السلام.

وأهم قصة للتثليث مشابهة تقريباً للعقيدة المسيحية، هي أسطورة (اوزيريس) المصرية وتقول هذه الاسطورة أن (اوزيريس) قتله أخاه (ست)، وعثرت (ايزيس) علىٰ جسده فحنطته، ثم قام من بين الاموات، واصبح إله العالم السفلي، وحملت (ايزيس) من (اوزيريس) بعد موته، وولدت له «هورس»، وكانت عبادة الإله (اوزيريس) في مصر في عصر البطالسة.

---

(١) معجم الايمان المسيحي (١٦٤).

ودفع هذا التشابه إلىٰ قول بعض الاباء المسيحيين الاوائل «ان في ديانة (اوزيريس) تمهيد الطريق واعدادها لمجيء الإنجيل، إلّا أن القصة المصرية، قصة الاله الذي مات وقام اسطورة وخرافة، أما سجل حياة يسوع المسيح عليه السلام وموته وقيامته كما ورد في الإنـجيل فـهو سجل تاريخي وواقعي»[١].

في الواقع هذا عرض إجمالي لعقيدة الثـالوث الاقـدس عـند المسيحيين الذين يعتقدون أن الله سبحانه قـد تـجسد فـي شـخص المسيح عليه السلام ومعنىٰ قولهم أن (الكلمة، الله) قد تجسد، أي أن الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس صار جسداً، واتخذ الطبيعة البشرية، فصار يشبهنا في كل شيء (ما عدا الخطيئة) «والكلمة صار جسداً، وحـل بيننا» (يو: ١: ١٤).

فان الله ليكشف عن نفسه نزل إلىٰ الأرض، والتـقىٰ الإنسـان بالصورة البشرية، فقد زار الله شعبه في يسوع المسيح عليه السلام بـل زار البشرية كلها[٢].

ولكنه إذ أصبح إنساناً بشراً، فهذا الامر لم يخسره شـيئاً مـن الوهيته، فلقد «اكتفىٰ أن يخفيها ويسترها متخلياً وقتياً عن أمـجاده الالهية التي كانت في سلطته وحوزته»[٣].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس: ٩٠٤. (٢) المسيح في الفكر الاسلامي: ٣١٢.
(٣) نفس المصدر: ٢٧٢.

ولنا هنا بعد هذا العرض لعقيدة الثالوث الاقدس، تساؤلات واشكالات نوردها ونبين مدىٰ صحة هذه العقيدة، عقلاً ونقلاً من العهد الجديد نفسه.. كما سأتجنب التعرض للمباحث الفلسفية في هذا العرض، بل أقدمه بشكل سهل لا يصعب فهمه فنقول:

أوّلاً: أن أوّل اشكال يواجه الباحث في عقيدة اللاهوت المسيحي (الثالوث الاقدس) والتبني والتجسيد عامة، هو أن المسيحيين يغلقون باب العقل ويعطلونه، فهم يتمسكون بأن هذه العقيدة لا يمكن أن يمسها العقل والادراك البشري، بل هي فوقهما، فهي سر لا يفهم إلّا بالايمان الحقيقي والثابت بالمسيح عليه السلام.

وهنا أقدم مقدمة بسيطة لتوضيح مسئلة مهمة وهي: أن الامور والقضايا التي تواجهنا لا تخرج عن ثلاث حالات حسب العقل وهي:

١ ـ ما هو موافق للعقل: وهي الامور التي يقبلها العقل ويذعن لها، كالقضية القائلة بأن الجزء أصغر من الكل، فالعقل البشري يوافقها ويصدقها.

٢ ـ ما هو مخالف للعقل: وهي الامور التي يرفضها العقل ويحكم ببطلانها، كاجتماع النقيضين أو أرتفاعهما، فالعقل يرفض هذه القضية مطلقاً، مثلاً أن نقول (زيد موجود وليس بموجود في نفس الوقت) فالعقل هنا يؤكد إستحالة مثل هذه القضية، فهي من المحالات العقلية، فأما أن يكون زيد موجوداً أو لا.

٣ ـ ما هو فوق العقل: وهي الامور والحقائق الغيبية التي تقصر يد العقل عن تناولها والوصول إليها، فأن هناك أموراً فوق العقل، ولولا إخبار الوحي الالهي عنها لم يكن للإنسان أن يتعرف عليها، كبعض الاحكام الشرعية وكيفيتها، وكذلك الرابطة بين الافعال الاختيارية للانسان في الحياة الدنيا ونتائجها الاخروية، فهذه الرابطة يعجز العقل عن ادراكها فهي لا تدخل في دائرته لأنها ترتبط بعالم الغيب، وغيرها من الامور..

ولكن بقىٰ هنا مسألة مهمة وهي أن القضايا التي هي فوق العقل والادراك البشري، يجب أن لا تدخل تحت الشق الثاني، أي أن لا تكون مخالفة للعقل وإلّا صارت من المحالات التي يرفضها العقل ويبطلها، وهذا ما نجده بالضبط في عقيدة التثليث.

فالمسيحيون حينما يواجهون هذه الاشكالات العقلية حول هذه العقيدة، يلجأون إلىٰ لجم العقل وتعطيله بالقول أن العقل قاصر عن إدراك مثل هذه المسائل، لانها من عالم الغيب الذي لا حظ للعقل فيه، ولان الوحي قد جاء بها فيجب قبولها والاذعان لها، وان كانت مخالفة للعقل. ويؤكدون أن الكثير من المسائل الدينية يُحيلها العقل، وتقبل تعبداً وهذه العقيدة منها[١].

وهذا الجواب فيه تناقض صريح، إذ كيف يستطيع الإنسان أن

---

(١) راجع الميزان في تفسير القرآن ج٣/ ص٣٥٥.

يميز دين الحق عن الباطل، أليس بالعقل؟ وحتى المسيح عليه السلام وتلاميذه فأنهم كانوا يجادلون ويناقشون اليهود بالأدلة والاستدلالات لكي يثبتوا أن المسيح عليه السلام مرسل من الله سبحانه، وانه يدعوهم إلىٰ أتباع العقل من خلال تطبيق ما تنبأ به العهد القديم بالنبي الموعود وحياة المسيح عليه السلام فهو النبي المنتظر والموعود حسب ما يدعيه المسيحيون.. فإذا كان العقل له الدور الرئيسي في تشخيص الدين الحق من الباطل، فكيف يقبل بعقيدة تشتمل علىٰ محالات وتناقضات يرفضها؟

وأما كيفية مخالفتها للحق فهي واضحة وبيّنة، وقد اعترف بها عدّة من علماء التثليث، فالواحد حقيقةً لا يمكن أن يكون ثلاثة حقيقةً، فالمسيحيون كما ذكرنا يؤمنون بثلاثة أشخاص وأقانيم حقيقية متميزة الواحد عن الاخر ولكنهم متساوون في الجوهر، فهل يعقل أن يكون الواحد ثلاثة والثلاثة واحد!!!

وأيضاً يستلزم منه التركيب، فالاله الواحد مركب من ثلاثة أجزاء، وعلىٰ هذا فهو بحاجة إلىٰ أجزائه لتكتمل الوهيته، والاحتياج والتركيب ينافيان الغنىٰ والبساطة والتي هي من صفات الاله (واجب الوجود).

إضافة إلىٰ هذا فأن الله سبحانه بسيط الذات من جميع الجهات فيستحيل إنفصال شيء منه (كما يدعي المسيحيون)، وحلوله في

مخلوق أو اتحاده معه، كما أن ذلك يلزم أن يكون الاله عرضة للتغير والتحول وهو مستحيل... وغيرها من الاشكالات الفلسفية الكثيرة التي تواجه هذه العقيدة المتناقضة..

ثانياً: إضافة إلىٰ ما ذكرنا فأن نسبة هذه العقيدة إلىٰ المسيح عليه السلام والوحي الالهي هي الاخرىٰ غير صحيحة، فكما أشرنا في بحثنا للثالوث الاقدس، تبين أن هذه العقيدة لم ينطق باسمها أحد، ولم تظهر إلىٰ الوجود إلّا في القرن الثاني وعلىٰ لسان (ترتوليان)، فالمسيح عليه السلام والرسل والتلاميذ لم يشيروا إلىٰ هذه العقيدة، وقول المسيحيين بأن المسيح عليه السلام وبعض الرسل، ولا سيما بولس، كانوا قد هيأوا العناصر الاساسية للعقيدة، وأن العلماء وآباء الكنيسة لم يقوموا بشيء سوىٰ أنهم أطلقوا اسم الاقنوم علىٰ الاشخاص الثلاثة واظهروا هذه العقيدة بوضوح، هو الآخر مجرد إدعاء، إذ أنه إلىٰ القرن الرابع الميلادي لم تكن هذه العقيدة محط نظر المسيحيين ومورد اعتمادهم، ومن الاصول المهمة في العقيدة المسيحية.

وكما أوردنا فأن المؤسس العلني لها وبشكلها الموجود الآن هو (اثناسيوس)، ولم تقبلها الكنيسة إلّا بعد مناقشات وجدال طويل في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادي، واعدتها في هذا القالب الذي بين أيدينا الآن، فهي نتيجة الخيال البشري، ولهذا فأنّا نجد فيها التناقض الكثير (حتىٰ أنه قيل أن (اثناسيوس) وهو الأب الذي صاغ هذه

العقيدة، قد أعترف بأنه كلما كتب أكثر حول هذه المسألة أصبح أقل قدرة علىٰ التعبير بوضوح عن أفكاره بخصوصها)[١].

فالقول بأن هذه العقيدة يجب أن تقبل لان الوحي قد جاء بها أمر غير صحيح أطلاقاً والدليل علىٰ ذلك أن علماء المسيحية أنفسهم كانوا مختلفين فيها، والباحث في المذاهب المسيحية في القرنين الأوّل والثاني، يجد كثرة الاراء المتضاربة حول شخصية المسيح عليه السلام.

بل وحتىٰ بعد قبول هذه العقيدة رسمياً، ومعاقبة كل مخالف لها، وبالرغم من عمليات تفتيش العقائد، والقتل والسجن التي مارستها الكنيسة، والتي يذكرها التاريخ، فإن صيحات المعارضة لها كانت تعلو بين الحين والآخر، معلنة بأن هذه العقيدة غير مقبولة عقلاً، وأن المسيح عليه السلام لم ينطق بها.

ثالثاً: لو رجعنا إلىٰ كتب العهد القديم لنرىٰ من هو الاله (الله) وما هي صفاته التي تنعته بها، لوجدنا أن ما يقوله المسيحيون مخالف للعهد القديم الذي يعتبرونه كلام الله الموحىٰ، وحتى لو قلنا بأن الله سبحانه لم يعرّف نفسه في العهد القديم بشكل تام، بل تم ذلك في العهد الجديد بالمسيح عليه السلام، لا يمكننا القول بأن العهد الجديد يناقض ما جاء به العهد القديم، فهو متمم له حسب إدعاء المسيحيين.

فالله في العهد القديم هو (الموجود الذي ليس له بداية ولا

---

(١) نظرة عن قرب في المسيحية: ٣٨.

صيرورة فهو الأوّل والآخر) (إشعيا: ٤١: ٤...)، وهو (الخالق المدبر، فالعالم كله من صنعه وخلقه جلّ وعلا، وتحت أمرته وتدبيره، وهوالحي الذي لا يموت أبداً فهو يختلف عن الإنسان (لأني أنا الله لا إنسان)) (هو شع ١١: ٩)، وأيضاً فهو سبحانه لا شبيه له، فهو يحرم كل تصوير له، وكل صورة يجعلها الإنسان له فهي وثن، فليس من شيء يشابهه (أشعيا: ٣١: ٣)[١].

وغيرها من الاوصاف الكثيرة التي يذكرها العهد القديم لله سبحانه وتعالىٰ، والتي تخالف ما يدعيه المسيحيون في عقيدة الثالوث، فإذا ما قايسنا بين هذه الاوصاف والنعوت وبين ما يعتقده المسيحيون من أن الله سبحانه وتعالىٰ قد تجسد في صورة انسان، وصار انساناً، يجد التناقض الواضح بين العهد القديم والاعتقاد المسيحي، فالخالق والصانع لكل العالم، صار مخلوقاً، والحي الذي لا يموت، صلب ومات، والازلي الذي لا بداية له ولا صيرورة، ولد من أحشاء امرأة، والذي ليس كالإنسان أصبح انساناً يأكل ويشرب وينام ويحزن ويفرح، والغني المطلق يحتاج إلىٰ غيره لأدامة حياته، والعشرات من التناقضات الأخرىٰ، والتي يرفضها العقل والوجدان، وتنتقص من قدسية الخالق المتعال الذي ليس كمثله شيء.

رابعاً: اذا سلّمنا للمسيحيين وقلنا بأن الله (سبحانه) له أقانيم

---

(١) راجع معجم اللاهوت الكتابي: ص٩.

ثلاثة، نتساءل: هل هذه الاقانيم متساوية أم لا؟ والجواب يكون كما يذكره المسيحيون، نعم كلها متساوية في الجوهر والقدرة والمجد...

ولكننا نرىٰ أيضاً أن العهد الجديد يؤكد أن المسيح عليه السلام (الاقنوم الثاني) يبقىٰ خاضعاً للأب بشهادة المسيح عليه السلام انظر (متي: ١١: ٢٧) وهو لا يعلم الساعة (القيامة) بل الاب وحده يعلمها (٢٤: ٣٧)، والاب هو مصدر كل الاشياء وغايتها (اكو ٨: ٦) والابن لا يعمل إلّا تبعاً للأب (يو ٥: ١٩) والأب أعظم من الابن (يو: ١٤: ٢٨) وغيرها..

فهذا يؤكد أن الأقانيم الثلاثة غير متساوية أطلاقاً، فالاب هو الاصل والمصدر الوحيد للقدرة، والابن ليس له القدرة والقابلية علىٰ القيام بشيء دون إذن الاب، فالاب لا يحتاج إلىٰ الابن ولا إلىٰ غيره في شيء، إذن نستطيع أن نقول أن الاب مستغنٍ عن الابن دون العكس.

وهذا هو الذي يقبله العقل ويؤيده العهد الجديد، وعلىٰ هذا فأن الله سبحانه هو الأب وحده فهو لا يحتاج إلىٰ شيء أطلاقاً، وأما الابن فهو مخلوق له وخاضع وتابع إليه، لا يفعل إلّا ما يأمره الأب به، ومن يطالع العهد الجديد يلمس هذه المسألة بوضوح...

فكيف يصح أن نقول أن الابن (الاقنوم الثاني) هو مساوٍ للأب في الجوهر والالوهية والقدرة والمجد، وهو في نفس الوقت خاضع

إليه في كل شيء، فاين الوهيته؟؟؟

خامساً: أن العهد الجديد كثيراً ما يذكر الله سبحانه بأنه أب لجميع المؤمنين والصالحين والابرار، فهذا المسيح عليه السلام يقول (أبيكم الذي في السموات) (متي: ٦: ٢)، وفي صلاتنا اليومية كنا نقول كما علمنا المسيح عليه السلام أن نصلي «أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك» (متي: ٦: ٩) وكذلك أيضاً (متي: ٦: ١٤٩) (فأن غفرتم للناس يغفر لكم أبو كم السماوي) وغيرها الكثير.

وأيضاً يعترف العهد الجديد بأن المؤمنين هم ابناء الله، انظر (متي: ٥: ٩) (طوبىٰ لصانعي السلام، لأنهم ابناء الله يدعون) وكذلك (لو: ٢٠: ٣٦) (لأنهم مثل الملائكة، وهم ابناء الله إذ هم ابناء القيامة) وغيرها. فلماذا يدعي المسيحيون بأن هذه الاسماء كلها تحمل علىٰ المعنىٰ المجازي لها، ولكن حين يقول المسيح عليه السلام (أبي) اشارة إلىٰ الله سبحانه، فانه يستعمله في المعنىٰ الحقيقي، ويجيبون علىٰ ذلك بقولهم: (أن المسيح عليه السلام أجرىٰ الكثير من المعجزات كاحياء الموتىٰ، واشفاء المرضىٰ وغيرها)، فاذا قلنا بأن الأنبياء أيضاً جرت علىٰ ايديهم المعاجز مثل ايليا واليشع وموسىٰ وغيرهم، قالوا (نعم، ولكن الطريقة التي كان يجري بها المعاجز تميزه عن باقي الأنبياء صانعي العجائب، فالاخرون كانوا يصنعون المعجزات بقدرة الله وسلطانه، في حين أن المسيح عليه السلام كان يجريها بسلطته الخاصة،

وذلك باشارة واحدة، أو حركة، وغالباً بكلمة كان مفعولها يتم حالاً ولهذا فأنه كان يظهر ألوهيته من خلال هذه المعاجز[١]...

ولكن هذا الكلام مخالف للعهد الجديد ولتعاليم المسيح عليه السلام الذي يعترف مراراً بأنه لا يفعل هذه المعاجز باستقلاليته وقوته الخاصة بل بمشية ابيه وربه حيث يقول «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً، كما أسمع أدين ودينونتي عادلة، لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الاب الذي أرسلني» (يو: ٥: ٣٠) وكذلك هذا ما يذكره لوقا في انجيله انظر (لو: ١١: ٢٠) «أن كنت بأصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله» فالاصبع إشارة إلىٰ القدرة الإلهية كما هو واضح.

والإشارة الأكثر وضوحاً نجدها في (اعمال الرسل) وعلىٰ لسان وصيه (بطرس) حيث يقول: «أيها الرجال الاسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال، يسوع الناصري رجلٌ قد تبرهن لكم من قبل الله، بقوات وعجائب وآيات، صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضاً تعلمون» (أعمال الرسل: ٢: ٢٢). وغيرها، فهل يبقىٰ مجال لمدعي أن يقول أن المسيح عليه السلام كان يجري المعجزات باستقلالية وبسلطته الخاصة؟! فلا معنىٰ لفهم كلمة (أب) (وابن الله) بالمعنىٰ الحقيقي لشخص عيسىٰ عليه السلام.

---

(١) المسيح في الفكر الإسلامي: ٢٣٦.

سـادساً: مما تبين سابقاً فإن هذه الاقانيم الثلاثة لم تذكرمجتمعة إلّا في موضع واحد، وهو في آخر انجيل متي، فهو بعدما يتحدث عن قيامة المسيح عليه السلام من بين الاموات، يذكر أنه عليه السلام ظهر لتلاميذه، وقال لهم «فأذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم (باسم الاب والابن والروح القدس) (متي: ٢٨: ١٩)، ويورد على هذا النص ما يلي:

أ ـ هذا النقل مخالف لنقل آخر عن نفس القصة حسب انجيل مرقس ولوقا، فمرقس يذكر «مر: ١٦: ١٤) (أخيراً ظهر للاحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم ايمانهم وقساوة قلوبهم، لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للبخليقة كلها». وأما لوقا فأنه ينقل الحديث بشكل آخر مختلف فهو يذكر «وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الاموات في اليوم الثالث، وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الامم». (لو: ٢٤: ٤٧)..

فهذه الكلمات التي ذكرها متي اضافية، ولعلها أضيفت إلى انجيل متي بعد كتابته بقرون عديدة، فالإنجيل الذي بين ايدينا هو نسخ عن نسخ ووقوع الزيادة والنقصان غير بعيد..

ب ـ أن المعمدانية في أيام الكنيسة الأولى كانت تعطى فقط باسم عيسى كما يذكر بولس في رسائله، وبالروح القدس «أن يوحنا

عمد بالماء وأما أنتم فستعمدون بالروح القدس» (أعمال الرسل: ١١: ١٧).

حـ ـ مع تسليمنا بصحة هذا القول فهو يذكر الاقانيم الثـلاثة، دون الاشارة إلىٰ انها اجزاء كائن الهي واحد[1].

سابعاً: تبقىٰ المسألة المهمة وهي أن المسيح عليه السلام ومن خلال ما يذكره العهد الجديد، كان كثير العبادة، إذ أنه صام أربعين يوماً قبل أن يجربه الشيطان اللعين، وكذلك صلاته الشديدة، وخلوته للـعبادة، كلها تشير إلىٰ معنىٰ كونه عبداً يـؤدي واجـبات العـبدوية لمـعبوده وخالقه، فهل يعقل أن يكون الله سبحانه يسجد ويصلي ويصوم لنفسه فأي عقل يقبل مثل هذه الافكار!!

وغيرها الكثير من الاشكالات التي كلها تقضي ببطلان هـذه العقيدة المتناقضة. فالمسيح عليه السلام لم يكررها قط، بل كان يؤكد عليه السلام أنه ابن الإنسـان، وأنه نبي «أما يسوع فقال لهم ليس نبي بلا كرامة إلّا في وطنه» (متي: ١٣: ٥٧)، ويؤكد بأنه ليس صـالحاً إلّا الله وحـده «لماذا تدعونني صالحاً ليس أحد صالحاً إلّا واحد وهو الله» (متي: ١٩: ١٧)، فهو ينفي عنه كل الوهية، وهو عليه السلام كـان يـوصي الذيـن يشفيهم أن لا يظهروا ذلك «وتبعته جـموع كـثيرة فشـفاهم جـميعاً وأوصاهم أن لا يظهروه» (متي: ١٢: ١٦) وغيرها، إذ كان يخشىٰ أن

---

(١) نظرة عن قرب في المسيحية: ص٣٤.

ينسب الناس إليه شيئاً من الالوهـية ولذا كـان يـأمر بـإخفاء هـذه المعاجز، وكان يحذر الناس ويقول «طوبىٰ للذي لا يعثر فيّ» (متي: ١١: ٦) وذلك بأن ينسب إليه بأنه اله، أو ابن الله حقيقة..

فلا يبقىٰ إلّا أن نقول بأن هـذه العـقيدة لم تـظهر فـي زمـن المسيح عليه السلام وهي ليس من تعاليمه، بل مخالفة لها، فلا يصح نسبتها إلىٰ الوحي الالهي.

الشريعة

ومن المسائل المهمة الأخرىٰ في المسيحية، هي أهمال والغاء الشريعة بمجيء المسيح عليه السلام. ولايضاح المطلب نذكر نبذة مختصرة عن الشريعة ومن ثم نبيّن كيف رفضها المسيحيون فنقول: ـ

الشريعة أو الناموس: هي الشريعة التي جاء بها الكليم موسىٰ عليه السلام بوحي من الله سبحانه، أوحىٰ بها إليه في جبل سيناء، والشريعة الموسوية يمكن تقسيمها إلىٰ ثلاثة اجزاء وهي:

١ ـ الوصايا الاخلاقية: تختصرها الشريعة في الوصايا العشر، وهي الوصايا التي أوحاها الله سبحانه إلىٰ موسىٰ عليه السلام علىٰ جبل سيناء وكتبها في لوحين من حجر. وقد كسر موسىٰ عليه السلام اللوحين لما غضب علىٰ الشعب عند عودته، ثم أعاد نحتهما من جديد (خر: ٣٤: ١ ـ ٥). والوصايا العشر هي حسب ما يذكرها سفر الخروج (خر: ٢٠ ـ ١) (أنا الرب إلٰهك الذي اخرجك من ارض مصر، من دار العبودية لا

يكن لك آلهة سواي، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة شيء مما في السماء من فوق.. لا تسجد لها ولا تعبدها، لأني أنا الرب إلهك إله غيور... لا تحلف باسم الرب إلهك باطلاً لأن الرب لا يبرر من يحلف باسمه باطلاً... أذكر يوم السبت وكرّسه لي، في ستة أيام تعمل وتنجز جميع أعمالك، واليوم السابع سبت للرب ألهك... أكرم أباك وأمك ليطول عمرك في الأرض... لا تقتل... لا تزنِ... لا تسرق... لا تشهد علىٰ غيرك شهادة زور... لا تشتهِ بيت غيرك... لا تشتهِ امرأة غيرك ولا عبده ولا جاريته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما له...». ففي هذه الوصايا تلخيص للخلق المثالي للديانة اليهودية...

٢ ـ الحقل العبادي: وهي مجموعة الشعائر التي دعا موسىٰ عليه السلام إلىٰ اتباعها في التقرب إلىٰ الله سبحانه، وقد أوحىٰ بها الله سبحانه إليه في جبل سيناء أيضاً، وكان القصد منها تنظيم العبادات والذبائح والتقدمات والمواسم والاعياد والصلوات والصيام والتطهير.

وكانت هذه الشرائع العبادية عرضة للتعديل، وحسب تطورات الحياة. وموسىٰ عليه السلام نفسه وضع بعض تعديلاتها بعد ثمان وثلاثين سنة من وضعها، وهذا فرق اساسي بين الوصايا الاخلاقية والجانب العبادي في الشريعة، فالوصايا العشر ثابتة لا تتبدل لأنها صالحة لكل زمان ومكان، وأما الطقوس العبادية فهي معرضة لطبيعة الظروف إلىٰ

حد بعيد[١].

٣ ـ المعاملات المدنية (الأُسرية، الاجتماعية، الاقتصادية، القضائية): وهي كثيرة ومنها قصاص القاتل (تك: ٨: ٦) والزانية (تك: ٣٨: ٢٤) والتمييز بين الحيوانات الطاهرة والنجسة (تك ٨ : ٢٠) وعدم أكل ما قدم للاوثان والمخنوقة. وغسل مس الجثة (عد ١٩: ١١) وغيرها الكثير..

هذه بأختصار الشريعة الموسوية، ولنرى الآن موقف المسيح منها من خلال العهد الجديد..

فالمسيح عليه السلام جاء مكملاً لشريعة موسىٰ عليه السلام وهذا ما كان يقوله في تعاليمه لتلاميذه والناس «لا تظنوا أني جئت لأُبطلَ الشريعة وتعاليم الأنبياء، ما جئت لابطل، بل لأكمل، الحق أقول لكم: إلىٰ أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة من الشريعة، حتىٰ يتم كل شيء. فمن خالف وصية من أصغر هذه الوصايا وعلّم الناس أن يعملوا مثله عدّ صغيراً في ملكوت السموات وأما من عمل بها وعلّمها فهو يُعدّ عظيماً في ملكوت السموات» (متي ٥: ١٧).

وهو يوصي تلاميذه بأن يفعلوا كل يأمر به معلمو الشريعة «وخاطب يسوع تلاميذه قال: «معلمو الشريعة والفريسيون علىٰ كرسي موسىٰ عليه السلام جالسون فافعلوا كل ما يقولونه لكم واعملوا به،

---

(١) قاموس الكتاب المقدس: ٩٧٨.

ولكن لا تعملوا مثل أعمالهم لأنهم يقولون ولا يفعلون». (متي: ٢٣: ١ ـ ٤).

وهو يؤكد علىٰ عدم ترك الشريعة «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تعشرون النعنع والشب والكمون وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان، كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك». (متي: ٢٣: ٢٣)..

وعملياً فأن المسيح عليه السلام التزم بالشريعة الموسوية فأنه عليه السلام اختتن في اليوم الثامن من ولادته حسب شريعة موسىٰ عليه السلام وقدم والداه الذبيحة للرب بحسب الشريعة (لو: ٢: ٢١ ـ ٢٣)، وقد دفع ضريبة الهيكل (متي: ١٧: ٢٤) وغيرها من الاعمال.

والذي يطالع العهد الجديد يتضح له جليّاً أن المسيح عليه السلام لم يلغِ الشريعة بمجيئه أبداً، بل علىٰ العكس من ذلك فأنه أوصىٰ بها قولاً، وعمل بها فعلاً، نعم هو أكد علىٰ الالتفات إلىٰ باطن الشريعة أيضاً دون الاكتفاء بالافعال الخارجية والظاهرية ولكنه لم يبطل ابداً الشريعة الظاهرية..

ولكننا نرىٰ الآن ان المسيحيين قد تخلوا عن الشريعة الموسوية، وهم ينظرون إلىٰ الشريعة والديانة اليهودية بأنها شريعة وقتية وغير كاملة، بل أعدت استعداداً لمجيء المسيح عليه السلام [١].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس: ٥٩٨.

فيطرح الآن السؤال المهم وهو: اذا كان المسيح عليه‌السلام قد أوصىٰ واكد علىٰ الشريعة كما رأينا، وأمر بحفظها والعمل بها، فمن هو الذي عطّلها واهملها وأكتفىٰ بالايمان بالمسيح عليه‌السلام بدلاً عنها؟ فالمسيحي المؤمن بعيسىٰ عليه‌السلام المخلّص لم يعد بحاجة إلىٰ شريعة!!!

فيأتينا الجواب من العهد الجديد، هو بولس القديس ولنوضح كيفية ذلك:

يقص لنا سفر اعمال الرسل، أنه نتيجة للتبشير الذي قام به الرسل، آمن بالمسيح عليه‌السلام عدد كثير من الوثنين علىٰ يد بطرس وبولس وبرنابا، دون أن يمرّوا بالديانة اليهودية، فكانوا ذوي غلف (أي غير مختونين) (اعمال الرسل: ١١: ٢).

وفي انطاكية جرىٰ خلاف وجدال شديد بين بولس وبرنابا من جهة وبين المؤمنين بالمسيحية من اليهود، إذ أخذوا يعلّمون المؤمنين الجدد بأن «لا خلاص لكم إلّا إذا أختتنتم علىٰ شريعة موسىٰ» (اعمال الرسل: ١٥: ١ ـ ٢) وبولس يعارضهم في ذلك، وانبرىٰ يدافع عن حرية الوثنين والمهتدين تجاه الاوامر التي تامر بها الكنيسة[١].

فأجمعوا أن يراجعوا الرسل في أورشليم والشيوخ في هذه المسألة، فلما وصلوا إلىٰ أورشليم، أخبروهم بالمسألة فقام بعض المؤمنين الذين كانوا قبلاً علىٰ مذهب الفريسيين وقالوا «يجب أن

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي: ٤٤٦.

يختتن غيرُ اليهود ويعملوا بشريعة موسىٰ» (اعمال الرسـل: ١٥: ٥). فأجتمع الرسل والشيوخ للنظر في هذه المسألة وبعد جدال طـويل، قام بطرس وقال لهم «ايها الاخوة تعرفون أن الله أختارني من بينكم من زمن بعيد... فلماذا تجربون الله الآن بأن تضعوا علىٰ رقاب التلاميذ نيراً عجز آباؤنا وعجزنا نحن عن حمله» (اعـمال الرسـل: ١٥: ٧ ـ ١١).

واستمر بولس وبرنابا يرويان الآيات التي جـرت بـين غـير اليهود فقام يعقوب (راعي الكنيسة فـي أورشـليم) وقـال: «أرىٰ أن لانثقل علىٰ الذين يهتدون إلىٰ الله من غير اليهود، بل نكتب اليهم أن يمتنعوا عن ذبائح الاصنام النجسة، والزنا، والحيوان المخنوق والدم، فلشريعة موسىٰ من قديم الزمان معلّمون في كلّ مدينة يقرأونها كل سبت في المجامع» (اعمال الرسل: ١٥: ١٩ ـ ٢١).

وكان هذا أوّل تباعد عن بعض أحكام الشريعة التـي أوصـىٰ المسيح عليه‌السلام بحفظها، حيث أن (تيطس) رفيق بولس لم يختتن (غل: ٢: ١ ـ ١٠) والوثنين الذين آمنوا بالمسيح عليه‌السلام أيضاً لم يوجب عليهم الختان..

ولكن لم تنته المسألة إلىٰ هذا الحد، فبولس بدأ شـيئاً فشـيئاً بنشر أفكاره وارائه الجديدة، فـبولس الذي ليس مـن الرسـل وبـخ بطرس (الوصي) ولامه علىٰ فعله كما يذكر ذلك في رسالته: «وعندما

جاء بطرس إلىٰ أنطاكية قاومته وجهاً لوجه لأنه كان يستحق اللوم، فقبل مجيء قوم من عند يعقوب (اورشليم) كان بطرس يأكل مع غير اليهود فلما وصلوا تجنبهم وانفصل عنهم خوفاً من دعاة الختان وجاراه سائر اليهود في ريائه» (غلاطية: ٢: ١١)، وبعد أن رأىٰ بولس أن بطرس الوصي لا يستقيم مع البشارة وبخه (غل: ٢: ١٤) واعلن نظريته الجديدة «أن الله لا يبرر الإنسان لأنه يعمل بأحكام الشريعة، بل لأنه يؤمن بيسوع المسيح عليه السلام. ولذلك آمنا بالمسيح يسوع ليبررنا الايمان بالمسيح، لا العمل باحكام الشريعة، فالإنسان لا يتبرر لعمله بأحكام الشريعة» (غلو: ٢: ١٦)، فهو يقول أن العمل بالشريعة لوحده لا يكفي في النجاة، بل يجب الايمان بالمسيح عليه السلام.

وإذا سألنا القديس بولس، هل نفهم من هذا الكلام أن الايمان والعمل بالشريعة هما اللذان ينجيان الإنسان؟ يجيبنا بالنفي، فهو يقول: «أما الذين يتكلمون علىٰ العمل بأحكام الشريعة فهم ملعونون جميعاً» (غل: ٣: ١٠) ويضيف (والمسيح حررنا عن لعنة الشريعة، بأن صار لعنة لأجلنا) (غل: ٣: ١٣)، ويكمل بولس نظريته ويدّعي أن الشريعة وأن كان مصدرها الله ولكنها أعطيت للبشر عن واسطة الملائكة وهذا دليل علىٰ ضعفها[1]. (غل: ٣: ١٩) فهي مع أنها مقدسة وروحانية (رومة: ٧: ١٢ ـ ١٤) ولكني ما عرفت الخطيئة إلّا بالشريعة

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي: ٤٤٦.

فلولا قولها لي: «لا تشته» لما عرفت الشهوة (رومة: ٧: ٧)، ولكنها أضعف من أن تخلص الإنسان المباع لسلطان الخطيئة (رومة: ٧: ١٤)، فالشريعة بدلاً من أن تخلص البشر من الشر، تكاد لو جاز هذا التعبير تغمسهم فيه وتعدهم للعنة. ويستمر بولس في بيان عقيدته فيقول: (أن الشريعة بأعتبارها مؤدباً وحارساً لشعب الله في مرحلة الطفولة (غل: ٣: ٢٣ ـ ٢٤) كانت تجعله يشتهي براً يستحيل تحقيقه وذلك حتىٰ يدرك بطريقة أفضل حاجته المطلقة إلىٰ مخلص للعالم الاوحد. فالمسيح عليه السلام بمجيئه أنهىٰ الشريعة فهو نهاية الشريعة وغايتها (رومة: ١ ـ ٤).

وفي الواقع فهذه العقيدة الجديدة هي من نتاج بولس، واذا قلنا له: إذن نحن لا نحتاج إلىٰ أي عمل سوىٰ الايمان بالمسيح عليه السلام ، أو بمعنىٰ آخر فالمسيحية يكفيها الايمان بالمسيح عليه السلام عوضاً عن الشريعة فلا تعود بحاجة إلىٰ شريعة، أجابنا بولس قائلاً: أن الشريعة كلها تلخصت في وصية واحدة وهي المحبة «لا يكن لاحدٍ دينٌ إلّا محبة بعضكم لبعض، فمن أحب غيره أتم العمل بالشريعة، فالوصايا التي تقول لا تزن، لا تقتل، لا تسرق، لا تشته، وسواها من الوصايا تتلخص في هذه الوصية «أحب قريبك مثلما تحب نفسك، فالمحبة تمام العمل بالشريعة (رومة: ١٣: ٨ ـ ١٠)...

وأعتقد أن المسألة تبدو الآن أكثر وضوحاً، فالمسيح عليه السلام جاء

متمماً ومكملاً للشريعة (متي: ٥: ١٧) وأكد كثيراً علىٰ حفظ الشريعة والعمل بها مع الايمان به، فهو لم ينقض الشريعة أطلاقاً ولم يهملها، بل عمل بها وأمر بعدم تركها (متي: ٢٣: ٢٣).

وأنما أبطلت الشريعة وأهملت بعده وبالتحديد علىٰ يد بولس الذي لم ير المسيح عليه السلام أبداً وليس من تلاميذه ورسله، فلا أدري كيف يرفض المسيحيون وهم اتباع المسيح عليه السلام توصياته بحفظ الشريعة، ويقبلون بآراء وافكار رجل كان من أشد أعداء المسيح عليه السلام واتباعه ثم أعتنق المسيحية، ويدّعون أنها تعاليم المسيح عليه السلام.

فالمسيح عليه السلام اختتن وهو ابن ثمانية أيام حسب الشريعة والناموس (لو: ٢: ١٢) ولكننا نجد الآن المسيحيين لا يختتنون أبداً عملاً بوصية بولس «فأنا بولس أقول لكم اذا أختتنتم، فلا يفيدكم المسيح شيئاً» (غل: ٥: ٢).

ولهذا قال بعض الباحثين أن المسيحية الحالية لجديرة بأن تسمىٰ (البولسية) بدلاً للمسيحية، لأنها من اتباع تعاليم بولس لا المسيح عليه السلام.

الخلاصة

قد تبيّن من خلال البحث بعض المسائل أوردها باختصار:

أوّلاً: أن الكتاب المقدس (العهد القديم، العهد الجديد) يدور حوله العديد من الاشكالات والابهامات، تقلل من أحتمال كونه كتاباً الهياً وموحىٰ به، حتىٰ لو قبلنا الوحي الكتابي كما يعتقد به المسيحيون، أي أنه يشترك فيه الله والإنسان معاً...

فالعهد القديم، يختلف حوله علماء الكتاب المقدس أنفسهم اختلافاً عظيماً، في عدد أسفاره، ومؤلفيه وتاريخ التأليف، وأن النسخ القديمة كلها أندثرت، والتي بين أيدينا هي نسخ عن نسخ لا يعرف ناسخها، ولا نستطيع التأكد من أن يد التحريف لم تصل إليها. أضافة إلىٰ ذلك فأن فيه توهيناً للأنبياء عليهم السلام، من خلال نسبة الفواحش والاعمال القبيحة أليهم، فالعهد القديم مشحون بها، وكثرة التناقضات فيه، كلها تشير إلىٰ أنه ليس وحياً الهياً.

وأخيراً فأن مجمع الفاتيكان (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥) أصدر مقولة حول العهد القديم تؤيد هذا المعنىٰ، فهو يصرح «بأن كتب العهد القديم تنطوي علىٰ مادّة بالية لا تتصف بالكمال»(١).

وأما العهد الجديد فهو ليس بأحسن حالاً من العهد القديم، فهو الآخر نسخه الاصلية مفقودة، والموجود هو نسخ مأخوذة عن نسخ، والبعض الآخر مترجم من لغة الكتاب الاصلية إلىٰ اللغة اليونانية، وقد أختلف علماء المسيحية أيضاً في مؤلفيها حتىٰ أن البعض منها بقي إلىٰ يومنا هذا مجهول المؤلف (رسالة العبرانيين)، وكذلك فأن هذه الأسفار لم تكن حتىٰ القرن الرابع يعترف بها كأسفار الهية موحاة، ولكن الكنيسة ومن أجل وحدة الكلمة، أختارت هذه الأسفار علىٰ أنها أسفار الهامية والهية، ومنعت الكتب الأخرىٰ واعتبرتها كتب أساطير، وسمتها بالكتب المنحولة.

فالحقيقة أن الكنسية هي التي ألصقت صفة الالهام بها زوراً، أضف إلىٰ ذلك الاختلافات الكثيرة فيما بينها، والتي دفعت بالمسيحيين إلىٰ اصطناع التبريرات لهذه التناقضات الكثيرة دون جدوىٰ.

كما ان العهد الجديد يسيء إلىٰ المسيح عليه السلام جداً، فأنه يصفه بأنّه صانع للخمر الجيد (انظر: يو: ٢: ١ ـ ١٠) فأن المسيح عليه السلام في

---

(١) نظرة عن قرب في المسيحية: ٧٤.

هذه المعجزة، يسيء أوّلاً إلىٰ أمه العذراء، فهو ينهرها ويقول «مالي ولك يا امرأة» وقد تكررت هذه الاساءة في الأناجيل لأمّه، وأكثر من ذلك أيضاً. وأما في هذه القصة يقول يوحنا حسب أنجيله «قال رئيس المتكأ للعريس ـ بعد تقديم الخمر الذي صنعه عيسىٰ عليه السلام ـ كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أوّلاً ومتىٰ سكروا فحينئذٍ الدون». فهل يقبل مؤمن نسبة هكذا فعل إلىٰ المسيح عليه السلام هذا النبي الطاهر الذي بعثه الله لهداية الناس واذا به ـ والعياذ بالله ـ يصنع الخمر للناس كي يسكروا؟!

والمسيح عليه السلام أيضاً كما يعتقد بولس (ملعون) لأنه مصلوب علىٰ خشبة، وكل من يصلب علىٰ خشبة فهو ملعون، وعلىٰ حد قوله فهو صار لعنة لأجلنا!! (حاشاه عن ذلك) لا أدري كيف يفسر هذه اللعنة علماء المسيحية. فهل اللعنة إلّا الطرد من رحمة الله تعالىٰ؟ فمن هو المطرود؟!

وأما المشكلة الأكثر تعقيداً فهي أن العهد الجديد يصف لنا المسيح عليه السلام بأنه إنسان وابن انسان، وهو في نفس الوقت ابن الله، والله المتجسد والكلمة، وعلماء المسيحية حاولوا بشتىٰ الوسائل والطرق تفسير هذه التناقضات والصفات وتوجيهها، ولكن هيهات، فالتناقض واضح وبيّن، فالاله لا يكون أنساناً، والإنسان لا يكون الهاً.

وأخيراً اعترفوا بهذه التناقضات في عقيدة التثليث، ولكنهم

صرّحوا بأن هذه العقيدة هي وحي ألهي وفوق الادراك البشري، فهي سر من أسرار الله لا يكشف إلّا لمن أمتلأ بالروح القدس، ولكننا رأينا من خلال البحث أن هذه العقيدة ليست وحياً ألهياً بل هي من أختراع الأب «أثنا سيوس» أوائل القرن الرابع الميلادي، أضافة إلىٰ كل هذا فأن العهد الجديد يصف المسيح الاله بأنه ضعيف ومهزوز، فهو يتوسل إلىٰ (الأب) لتعبر عنه هذه الكأس (كأس الموت)، ولكن عندما لم يستجب له (الأب) عاتبه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة لأنه تركه، فيصرخ بصوت عظيم بعد صلبه وقبل موته «الهي الهي لماذا شبقتني، أي الهي الهي لماذا تركتني» (متي: ٢٧ ـ ٤٦)، وقد رأينا في حياتنا من هو مؤمن عادي يتقبل الموت والشهادة بكل أنس وشوق ويتلذذ بهذا الموت لأنه محب لله الذي سوف يلاقيه، فهل يعقل أن المسيح عليه السلام روح الله وكلمته ونبيه ورسوله يعاتب الله الرحيم لأنه أسلمه للموت والشهادة!!

فهذه المسائل وغيرها الكثير تدفع بالإنسان المنصف إلىٰ اليقين بأن هذه الأناجيل والاسفار هي قصص ونتاجات البشر، ذكر فيها قصة المسيح عليه السلام كما يؤكد لنا لوقا نفسه في بداية أنجيله حيث يقول: «إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصةٍ في الامور المتيقنة عندنا، رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيءٍ من الأوّل أن أكتب علىٰ التوالي أليك أيها العزيز ثاوفيلس» (لو: ١: ٣)..

وأما موضوع الصلب والقيامة في العهد الجديد فهو أحداث متناقضة تنقلها لنا هذه الأسفار، فالمتيقن هو أن التلاميذ هربوا كلهم عندما جاء اليهود للامساك بعيسىٰ عليه السلام ولم يبق أحد منهم، ليتأكد لنا هل أن الذي قبض عليه هو المسيح عليه السلام أو أنه استطاع أن يهرب من وسطهم كما فعل ذلك كثيراً سابقاً، فيوحنا ينقل في أنجيله «فرفعوا حجارةً ليرجموه، أما يسوع فاختفىٰ وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضىٰ هكذا» (يو: ٨: ٥٩)، والمسيح عليه السلام يؤكد أنهم لن ينالوا منه أبداً لأنه سيذهب إلىٰ مكان لا يقدرون الوصول إليه، (انظر: يو: ٨: ٢٢) «قال لهم يسوع أيضاً أنا أمضي وستطلبونني وتموتون في خطيتكم، حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا، فقال اليهود ألعلّه يقتل نفسه حتىٰ يقول حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا، فقال لهم أنتم من أسفل، أما أنا من فوق»، فهو يؤكد عليه السلام بأنهم لن يمسكوا به أبداً.

وما يؤكد لنا أن المسيح عليه السلام شبّه لهم، هو قصة مقتل يهوذا الخائن، فالعهد الجديد لا يذكر شيئاً عن مصيره إلّا في موضعين، والمصير والخاتمة التي كانت عليها حياة يهوذا الخائن مختلفة تماماً كما رأينا، والمختلف في نقلها وصي عيسىٰ عليه السلام بطرس، وأحد التلاميذ الاثنىٰ عشر وهو (متي)، وهذا بعد ثلاثين سنة علىٰ أبعد الحدود من رفع السيّد المسيح عليه السلام وهذا يدل علىٰ أن مصير يهوذا

كان مجهولاً وإلّا تطرق له بقية الكتاب الملهمون في أناجيلهم، وما أختلف فيه التلامذة المقربون من عيسىٰ عليه السلام في مصيره.

وموضوع القيامة أيضاً تدور حوله الشكوك، فالمسيح عليه السلام الذي قال أنه سيبقىٰ في القبر ثلاثة أيام وثلاث ليال كما تذكر ذلك الأناجيل انظر (متي: ١٢: ٤٠) «لأنّه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال». لم يبق في القبر كما تذكر الأناجيل سوىٰ ليلتين ويوم واحد، فالدفن كان مساء يوم الجمعة بل قبل فجر السبت انظر (لو: ٢٣: ٥٤) «ووضعه في قبر منحوت حيث لم يكن احد وضع قط، وكان يوم الاستعداد والسبت يلوح» والقيامة كانت فجر يوم الأحد انظر (يو: ٢٠: ١) («وفي أوّل الأسبوع الأحد» جاءت مريم المجدلية إلىٰ القبر باكراً والظلام باق»)، فهذا الاختلاف يقودنا إلىٰ القول بأن أمر القيامة مشكوك فيه في أحسن الاحوال.

واعتقد أن بولس هو الذي جاء بهذه العقيدة في رسائله والتي كتبت ـ كما ذكرنا ـ قبل الأناجيل فهو يقول: «أذكر يسوع المسيح المقام من الأموات من نسل داود بحسب أنجيلي» (٢ تيموثاوس: ٢: ٨).

وأخيراً رأينا موقف المسيح عليه السلام من الشريعة الموسوية التي التزم وعمل بها، وأكد عليها فهو جاء ليتمم الشريعة والناموس،

وأوصىٰ تلاميذه بحفظها والعمل بها، في حين نجد أن بولس ومن خلال تعاليمه، نقض الناموس والشريعة، وتركها جانباً، وأعتبر الايمان بالمسيح عليه السلام وحده كافياً لنيل الخلاص والنجاة، ولهذا فأن لبولس الدور الرئيسي في تأسيس أغلب العقائد التي تؤمن بها الكنيسة حالياً، وكما ذكرنا فأنّ بعض المحققين يطلقون علىٰ المسيحية الحالية اسم (البولسية).

الفصل الثاني

نبذة عن الاسلام

حياة النبي محمد(ص)

ولادته

رضاعه

طفولته

شبابه

بعثته

هجرته

فتح مكة

دلائل نبوته

معاجزه

القرآن الكريم

قصة المسيح(ع) في القرآن

الشريعة

نبذة عن الاسلام

وسوف نتحدث في هذا الفصل عن أبعاد شخصية النبي ﷺ وسيرته، وكذلك عن معجزته الخالدة القرآن الكريم وما يقوله عن المسيح عليه السلام والمسيحية وعقائدها وموقفه منها، ومن ثم نتطرق عن الشريعة الإسلامية بشكل مختصر.

ان من الحقائق الثابتة والتي يؤمن بها كل فرد مسيحي، هي أن العهد الالهي والنبوة قد ختما بيسوع المسيح عليه السلام ابن الله، فهو المخلص والفادي للبشرية، وهو الذي علىٰ يديه تمت المصالحة بين الناس وخالقه، وقد ختمت النبوة به لأن العهد قد تم به، فلا معنىٰ لمجيء نبي بعده، بل أن المسيح عليه السلام سيعود في آخر الزمان كما تذكر ذلك اسفار العهد الجديد، وكذلك فان المسيح عليه السلام كان يتنبأ بخروج من يدّعون النبوة كذباً، ويحذر منهم.

ولذا فإن الاعتقاد الذي كنت أحمله هو أن كل من يدعي النبوة

فهو كاذب، وهو ما تعلمته من الكنيسة منذ الطفولة، وأما ما يتعلق بشخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فكنت منذ الصغر أسمع ما يصفه به الكبار من أوصاف خلال جلساتهم وأحاديثهم، فكانوا يعتبرونه رجلاً خشناً ظهر من شبه الجزيرة العربية، ونشر دعوته بالقوة وشن الحروب وسفك الدماء فقد كان يدعو إلىٰ الحرب والقتال لا إلىٰ السلام والمحبة كالمسيح عليه السلام ، والكثير من الاوصاف التي لا أجرؤ علىٰ ذكرها، وكذلك القرآن الكريم، فإن والدي ـ كما ذكرت أوّل البحث ـ كان يقول أنه من كتابة وتأليف النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نفسه وليس كتاباً مقدساً كالإنجيل.

وأما تعاليمه وشريعته، فهي كما يعتقد المسيحيون مجرد أعمال وأفعال بدنية متعبة ومرهقة لا معنىٰ لها ولا نفع فيها، وأعتقد ان هذه الأفكار يحملها أكثر المسيحيين، أن لم نقل جميعهم، ولكن ومن خلال البحث والمطالعة، أكتشفت الخطأ الجسيم والصورة الزائفة التي كنت أرسمها في ذهني عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن والشريعة الإسلامية، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن خلال ما ينقله التاريخ والمؤرخون كان من أشرف الناس نسباً، وأحسنهم أدباً وخُلقاً، واعظمهم شأناً، وأوسعهم رحمة ولطفاً، وأصبرهم علىٰ المصائب والمحن، والقرآن الكريم أيضاً أتضح أنه في الواقع الكتاب الالهي الوحيد من الكتب السماوية التي لم تصل يد التحريف اليه، وفيه من التعاليم والارشادات والمعارف الراقية ما يبهر العقول والقلوب، فالنفس الالهي فيه واضح وجلي بل

واوضح من الشمس في رابعة النهار، ففيه نور وهدىٰ وشفاء للنفوس والقلوب من الظلمات والجهل...

وأما الشريعة الإسلامية وتعاليم الرسالة المحمدية، فهي تضمن للإنسان سعادة الدارين الدنيا ۏالآخرة، وهي تبتني علىٰ الرحمة والمحبة والاخلاق الكريمة والصدق والامانة، ففيها دستور للحياة الفردية الاجتماعية. بل أن الهدف من بعثة النبي ﷺ هو الرحمة كما يذكر القرآن ذلك: ﴿وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين﴾ وشريعته هي لأيصال الإنسان إلىٰ مكارم الاخلاق وكمالها كما ينقل عنه ﷺ «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فالإسلام دين المحبة والألفة والرأفة والتي تجسدت في شخصية النبي المقدسة كما سنبين ذلك أن شاء الله...

وكما أكدت سابقاً فان الجهل والتعصب والغفلة كل ذلك يكون حاجباً لرؤية الحق ومعرفته، وتأكد لي بأن كل إنسان منصف وعاقل وباحث عن الحقيقة، اذا ترفع قليلاً عن تعصبه وجهله، ووضع النظارة السوداء هذه جانباً، سيرىٰ الحق واضحاً كالنهار، لا شك ولا ريب فيه..

أنها أمنية، ولكن تبقىٰ الهداية إلىٰ الحق بيد الله اللطيف الخبير كما يقول عزّ من قائل: ﴿أنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء...﴾.

حياة النبي محمّد (ص)

أن نسبه ﷺ يعود إلىٰ عدنان الذي ينتهي نسبه إلىٰ النبي إسماعيل عليه السلام عبر عدد من الآباء والاجداد، ومن ثم يصل إلىٰ إبراهيم عليه السلام.

فهو ﷺ من قبيلة قريش ومن عشيرة بني هاشم ونسب الرسول ﷺ وأجداده هو كالتالي: محمّد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[1].. وقد أختلف المؤرخون في اباء واجداد عدنان إلىٰ إسماعيل عليه السلام فالبعض ذكر ثلاثة من ابائه حتىٰ إسماعيل والبعض الآخر أكثر من ذلك.

وخلاصة قصة ذرية إسماعيل عليه السلام هي: أن إبراهيم

---

(١) تاريخ الطبري ١/٥٦٥.

الخليل عليه السلام أمر أن يُسكن ولده الرضيع (إسماعيل) مع زوجته (هاجر) أم إسماعيل في أرض مكة، فخرج بهما إبراهيم عليه السلام من فلسطين، وهبط بهما في ذلك الوادي العميق الخالي من الماء والعشب (مكة) ثم أن يد العناية الالهية أمتدت إلىٰ تلك العائلة المهاجرة، وجادت عليها بعين زمزم التي جلبت الرواء والحياة إلىٰ تلك المنطقة القاحلة.

ثم تزوج إسماعيل عليه السلام من قبيلة «جُرهُم» التي سكنت بالقرب من مكة، وأصاب من هذا الزواج عدداً كبيراً من الابناء والاحفاد، وأحفاد الاحفاد، وكان من جملتهم (عدنان) ثم تشعبت ذرية إسماعيل عشائر وقبائل عديدة، كان من بينها قبيلة قريش التي حظيت بشهرة كبيرة، ومنها عشيرة بني هاشم التي انحدر منها الرسول الأعظم محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم [١].

ولادته

كانت ولادته صلى الله عليه وآله وسلم في الجزيرة العربية بالحجاز في (مكة المكرمة)، وكما يذكر أكثر المؤرخين فانها كانت في السابع عشر من ربيع الأوّل لعام الفيل (الواقعة المشهورة) أو ما يقارب سنة (٥٧٠م) [٢].

---

(١) سيّد المرسلين ١/٣٧.
(٢) بحار الأنوار ١٥/٢٤٨.

وولد الرسول ﷺ وهو يتيم الأب اذ ان أباه توفي قبل ولادته، أو بعدها بشهرين، وقد ذكر المؤرخون في الكتب التاريخية وقوع حوادث عجيبة عند ولادة النبي ﷺ منها: أرتجاس أيوان كسرىٰ وسقوط أربع عشرة شرفة منه، وأنخماد نار فارس التي كانت تُعبد، وجفاف بحيرة ساوة، وتساقط الاصنام المنصوبة في الكعبة علىٰ وجوهها، وخروج نور معه ﷺ حين ولادته، وغيرها من الحوادث العجيبة المذكورة في كتب التاريخ[١].

وأما تسميته ﷺ فإن له أسماء كثيرة أشهرها اسمان أحدهما (أحمد) إذ سمته أمه بذلك كما أُمرت في المنام، وسماه جده عبدالمطلب في اليوم السابع (عندما عقّ عنه بكبش واحتفل بميلاده) (محمّد) وعندما سئل عن سبب تسمية المولود بهذا الاسم أجاب «أردت أن يحمده الله في السماء وتحمده الناس في الأرض»[٢] وقد أشتهر النبي ﷺ بهذين الاسمين منذ صغره ونرىٰ ذلك واضحاً في أشعار عمه أبي طالب.

رضاعه

كان المشهور من عادة العرب أن يدفعوا أولادهم الرضع إلىٰ

---

(١) سيّد المرسلين ٢٠٢/١، تاريخ اليعقوبي ٥/٢، السيرة الحلبية ٦٧/١، وغيرها.

(٢) السيرة الحلبية ٧٨/١.

النساء اللاتي يعشن في البادية، لينشأ الطفل في تلك البيئة (المعروفة بحسن مناخها وعذوبة مائها، وفصاحتها) وهو ذو بنية قوية، فصيح اللسان، فالنبي ﷺ لم يرضع من أمه إلّا ثلاثة أيام، ثم نالت شرف أرضاعه امرأتان:

أوّلاً: ثويبة: مولاة (أبي لهب) فقد أرضعته لفترة أربعة أشهر فقط، وكان النبي ﷺ يقدر عملها هذا حتىٰ آخر لحظات حياتها، فكان يكرمها كثيراً لعملها هذا.

ثانياً: حليمة السعدية التي كانت من قبيلة سعد بن بكر بن هوازن، وكانت مراضع بني سعد مشهورات بهذا الأمر بين العرب، وكان النبي ﷺ قد تجاوز شهره الرابع لمّا قدمت نساء من بني سعد إلىٰ مكة، وكانت هذه القبيلة تسكن أطراف مكة، وكانت نساء هذه القبيلة يأتين كل عام في موسم خاص يلتمسن الرضعاء ويذهبن بهن إلىٰ البادية، وقد دفع جد النبي ﷺ (عبدالمطلب) حفيده إلىٰ حليمة السعدية، وبقي النبي ﷺ في بني سعد خمس سنوات وفي بعض الكتب أربع سنوات، ثم أرجعته إلىٰ أُمه آمنة بنت وهب، ويذكر المؤرخون بعض المعاجز للنبي ﷺ في هذه الفترة أيضاً[١]. وتذكر حليمة أن الخير والبركة حلّا بحلول النبي ﷺ في دارها،

---

(١) راجع السيرة الحلبية ١/٩٠، سيرة المصطفىٰ (هاشم معروف الحسني): ص٤٣، وغيرها.

وكان يشب ﷺ لا كما يشب الاطفال حيث تقول أنه حين بلغ تسعة أشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح، وقد نقل عنه ﷺ بعد بعثته أنه كان يقول لاصحابه «أنا أعربكم أي أفصحكم عربية، أنا قرشي واسترضعت في بني سعد»[١].

طفولته

بعد فترة من رجوعه ﷺ من البادية إلىٰ أحضان والدته آمنة بنت وهب، أخذته أمه لزيارة قبر والده (عبدالله) الذي توفي في يثرب علىٰ اثر مرض ألم به، ولم يكن النبي ﷺ قد رآه قط، وهي الزيارة الأولىٰ التي قام بها النبي ﷺ إلىٰ قبر والده، وعند العودة من هذا السفر، شاءت الاقدار الالهية أن يفقد هذا اليتيم أمه أيضاً، قبل وصوله إلىٰ مكة، في منطقة يقال لها «الابواء» وله من العمر ست سنين، وقيل أكثر من ذلك قليلاً[٢].

فذاق هذا الطفل الحرمان منذ طفولته، وقد تكفل به جده عبدالمطلب سيّد قريش، وكان يحبه كثيراً، وشديد الرعاية له، فانه كان يفضله علىٰ جميع ولده، وكانت ملامح النبي ﷺ والبركات والمعجزات التي رافقته منذ ولادته ﷺ تدفع جدّه إلىٰ التنبؤ بمستقبل عظيم لهذا اليتيم، حيث ينقل المؤرخون عنه أنه كان يقول:

---

(١) السيرة الحلبية ١/٨٩.　　(٢) سيد المرسلين: ص٢٢٧.

أن: «لابني هذا شأناً»، ولكن طواغيت وجبابرة مكة لم تكن تعلم يؤمئذٍ ما تخبئه الايام القادمة من أمر يتيم عبدالمطلب هذا...

ولم يدم هذا الحنان والعطف الذي أحاطه به جدّه (عبدالمطلب) كثيراً، إذ أنّ الموت، سنّة الله في خلقه، نزل به ولم يكمل النبي ﷺ الثامنة من عمره، واعتصر قلب النبي ﷺ ألماً وحزناً علىٰ فراق جدّه العطوف، الذي كان بلسماً لجراحات يتمه، وأوصىٰ به جده حين وفاته ابنه (أبا طالب) عم النبي ﷺ الذي كان اخاَ لعبدالله والد النبي ﷺ من أم واحدة، فتكفله أبو طالب، وشمله برعايته وعطفه، فكان خير كفيل له في صغره، وخير ناصر ومعين عندما أحتاج النبي ﷺ إلىٰ الانصار لنشر دعوته، وكان أبو طالب معروفاً بين أهل مكة بجوده وكرمه، فهو سيّد بني هاشم، ومع أنه كان فقيراً فقد خضع له القريب والبعيد.

وقد جاء عن وصي النبي ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «أن أبي ساد الناس فقيراً، وما ساد فقير قبله»[1]، وكانت زوجة أبي طالب أيضاً تشمله برعايتها الخاصة، وتحرص عليه أكثر من أولادها، ويمكن القول بأن أبا طالب وزوجته فاطمة بنت أسد أستطاعا أن ينسيا النبي ﷺ مرارة اليتم، بالرعاية التي أحاطاه بها، وتنقل كتب التاريخ أن فاطمة بنت أسد كانت في سنيّ الجدب

---

(١) سيرة المصطفىٰ: ٤٩.

والقحط التي مات الناس فيها جوعاً تحرم أولادها القوت وتطعمه النبي ﷺ.

ولما بلغ النبي ﷺ الثانية عشرة من عمره الشريف، أصطحبه معه أبو طالب في سفره التجاري إلىٰ الشام، ولمّا وصل إلىٰ منطقة تدعىٰ «بُصرىٰ»، وقعت حادثة أدت إلىٰ أن يرجع أبو طالب إلىٰ مكة مع ابن أخيه قبل أن يصلا إلىٰ الشام، وتلك الحادثة تنقلها كتب التاريخ بتفصيل، ونحن ننقلها هنا بأختصار:

لما نزل الركب (بُصرىٰ) من أرض الشام، وبها راهب يقال له «بحيرا» في صومعة له، وكان ذا علم من أهل النصرانية، وينقل أنه كان قد انتهىٰ علم الكتاب إليه، إذ توارثه كابر عن كابر، عن أوصياء عيسىٰ عليه السلام فلما نزلوا، وكانت القوافل التجارية لقريش كثيراً ما تمر من هذا المكان فلا يكلمهم الراهب بشيء، ولكنه في هذه المرة، عندما رأىٰ الرسول ﷺ عليه غمامة تظله من بين القوم، صنع لهم طعاماً ودعاهم إليه، فقال رجل منهم للراهب أن اليوم لك شأناً، ما كنت تصنع هذا بنا وكنا نمرّ عليك كثيراً، فقال الراهب: صدقت ولكنكم ضيف وأحببت أن أكرمكم، ولما جاءوا إلىٰ الصومعة، جعل بحيرا الراهب يلحظ النبي ﷺ لحظاً شديداً، وينظر إلىٰ أشياء من جسده كان يجدها عنده من صفته، فلما تفرقوا، أنفرد الراهب بالنبي ﷺ وسأله عن أشياء في حاله، في يقظته ونومه، فأخبره

رسول الله ﷺ فيجدها بحيرا موافقة لما عنده من صفته. ثم نظر إلىٰ ظهره فرأىٰ خاتم النبوة بين كتفيه، فسأل الراهب عن وليه فقالوا هو أبو طالب، فقال له بحيرا: «إنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، نجده في كتبنا وما أخذناه عن آبائنا، هذا سيّد العالمين، هذا رسول ربّ العالمين، إحذر عليه اليهود لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت يبغونه شراً» فلما سمع أبو طالب كلام الراهب، رجع به إلىٰ مكة»[١].

شبابه

لقد كان النبي ﷺ لما يتصف به من الصفات الحميدة والاخلاق الكريمة، قدوة بين قومه وعشيرته منذ شبابه، ومثالاً للنبل والشرف والشجاعة والصدق والأمانة، فكانوا يلقبونه (بالصادق الامين)، فقد حضر ﷺ (في حلف الفضول)[٢] وهو لم يبلغ العشرين من عمره.

وينقل التاريخ أن النبي ﷺ أشتغل في فترة شبابه في رعي الغنم، وقضىٰ النبي ﷺ شطراً من عمره في هذا المجال، وبسبب

---

(١) تاريخ الطبري ٥١٩/١، السيرة الحلبية ٢٣١/١، وغيرها من الكتب التاريخية.

(٢) وكان الهدف من هذا الحلف هو الدفاع عن حقوق المظلومين والوقوف بوجه العدوان وجاء عنه ﷺ بعد بعثته «لقد حضرت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ولو دعيت إلىٰ مثله لأجبت».

الوضع المعيشي الصعب الذي كان يواجهه، أقترح عليه عمه أبو طالب العمل في التجارة وكانت في مكة امرأة ذات مال كثير، وذات شرف عظيم، تستثمر أموالها في التجارة وهي خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)، كانت تضارب الرجال بشيء تجعله لهم من أرباح التجارة، وكانت تبحث عن رجل أمين لأدارة تجارتها، وبما أن النبي ﷺ كان مشتهراً بين الناس بأمانته وصدقه كما ذكرنا، لذا بعثت إليه خديجة وعرضت عليه العمل معها قائلة له أني دعاني إلىٰ البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك، وكرم أخلاقك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك وأبعث معك غلامين يأتمران بأمرك في السفر، فأخبر النبي ﷺ عمه بذلك فقال له: «أن هذا رزق ساقه الله إليك»(١).

فقبل الرسول ﷺ ذلك العرض، وخرج بمال خديجة ذلك العام قاصداً الشام للتجارة، ووصل إلىٰ الشام وباع البضاعة، وربح ربحاً كبيراً، كما أنه أشترىٰ بضاعة لبيعها في مكة، واقبل راجعاً إلىٰ مكة ومعه الربح الكثير، وأخبر أحد الغلامين واسمه (ميسرة) خديجة عند رجوعه إلىٰ مكة، بحال النبي ﷺ وبعض الكرامات التي لمسها منه ﷺ وكذلك عن أخلاقه وخصاله الكريمة، وأبلغها بالربح الكبير الذي أصابهم من تجارتهم هذه فينقل عنه أنه قال «لقد

---

(١) سيد المرسلين ١/٢٥٤.

ربحنا في هذه الرحلة ما لم نربحه من أربعين سنة ببركة محمّد»[1].

ففرحت خديجة (رضي الله عنها) عندما سمعت ذلك من الغلام، وكانت خديجة من خيرة نساء قريش شرفاً، وأكثرهن مالاً، وأحسنهن جمالاً، وأقواهّن عقلاً وفهماً، وكانت تدعىٰ في الجاهلية بالطاهرة لشدة عفتها، ولمكانتها الرفيعة كان أشراف قريش كلهم حريصين علىٰ الاقتران بها (إذ أنها لم يكن لها زوج وقد بلغت الأربعين من عمرها كما تذكر كتب التاريخ) وكانوا يقدمون لها العروض المغرية، ولكنها كانت ترفضهم الواحد بعد الاخر، ولكن بعدما سمعت ورأت من صفات وأخلاق النبي ﷺ بعثت إليه ﷺ وقالت له: يابن عم أني قد رغبت فيك لقرابتك وشرفك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك، وعرضت عليه الزواج منها، فجاء النبي ﷺ عمه أبا طالب وأخبره بانه يريد الزواج من خديجة، ففرح عمه بذلك، فقصد النبي ﷺ مع نفر من أعمامه يتقدمهم أبو طالب طالباً خديجة للنبي ﷺ وكان والدها قد توفي، فخطبها عمه أبو طالب من عمها (عمر بن أسد) وخطب أبو طالب خطبته وقال:

«الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم عليه السلام وذرية إسماعيل عليه السلام وجعل لنا بيتاً محجوباً، وحرماً آمناً وجعلنا الحكام

---

(١) بحار الأنوار ١٦/٥.

علىٰ الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه، وأن ابن أخي محمّد بن عبدالله ﷺ لا يوازن برجلٍ من قريش إلّا رجح عليه، ولا يقاس بأحدٍ إلّا كان أعظم منه، وأن كان في المال قل، فأن المال رزق حائل وظل زائل وله في خديجة رغبة، ولها فيه رغبة، وصداق ما سألتموه عاجله من مالي، وله والله خطب عظيم ونبأ شائع»[١]. فتزوج النبي ﷺ من خديجة وهو ابن الخامسة والعشرين من عمره الشريف، وكانت خديجة خير سند ومعين للنبي ﷺ قبل دعوته وبعدها، فأنها قدمت كل ما تملك للنبي ﷺ وقالت له بيتي بيتك وأنا جاريتك، ويتضح من خلال سيرتها أنها كانت قمة في الاخلاق والوفاء والتضحية، وكان الرسول ﷺ يجلّ قدرها، ويعظم منزلتها، إذ أنه لم يتزوج عليها غيرها حتىٰ رحلت إلىٰ الرفيق الأعلىٰ وفاءً واحتراماً لها، والاحاديث في فضلها ومنزلتها التي تنقل عن النبي ﷺ كثيرة.

وقد أنجبت له ﷺ ستة أولاد: ولدان، وأربع بنات وهم: القاسم (وقد كني به ﷺ) وعبدالله اللذان كانا يُدعيان أيضاً بـ «الطاهر والطيب» وأربع بنات هن: رقية، زينب، أم كلثوم، وفاطمة عليها السلام، وأما الذكور من أولاده ﷺ فماتوا قبل البعثة،

---

(١) سيرة المصطفىٰ: ص٥٩.

وأمابناته فكلهن أدركن الاسلام[١].

ومما تذكره كتب التاريخ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يعبد صنماً قط طوال حياته، وأما سيرته صلى الله عليه وآله وسلم منذ زواجه من خديجة وحتىٰ بعثته، فالمشهور عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يشتغل باللعب واللهو أبداً كما كان يفعل الرجال، بل كان يعيش كالحكماء والانبياء حتىٰ قبل بعثته، فبالرغم من الاموال الطائلة التي وضعتها خديجة تحت تصرفه، كان يعيش الحياة البسيطة الخالية من كل ترف وبذخ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقضي معظم أوقاته في التفكر والتأمل، وكثيراً ما كان يلجأ إلىٰ سفوح الجبال والمغارات للخلوة مع ربه، والاشتغال بعبادته جلّ وعلا، وكان إذا تأخر صلى الله عليه وآله وسلم عن خديجة علمت أنه يتعبد خارج مكة.

ومن الاحداث المشهورة في كتب التاريخ والتي تشير إلىٰ حكمته صلى الله عليه وآله وسلم هي حادثة هدم الكعبة وبنائها من جديد، فينقل المؤرخون أنه تم هدم الكعبة وبناؤها من جديد لأنها تصدعت من أثر السيل الذي أصابها، ولما تكامل البناء إلىٰ موضع الركن، وقعت الخصومة بينهم فيمن يرفع الحجر الأسود ليضعه في مكانه، وكاد أن ينشب القتال بينهم، لأنهم يرون أن من يضع الحجر الأسود في مكانه يكون له الفضل والسيادة والفخر، ثم تشاور شيوخهم واتفقوا أن يكون أوّل وافد عليهم هو الذي يضع الحجر الأسود مكانه، وكان أوّل من

---

(١) سيّد المرسلين ١/٢٧٨، وغيره من الكتب التاريخية.

وفد النبي ﷺ فلما رأوه أستبشروا بقدومه، وقالوا لقد جاءكم الصادق الامين، وأخبروه بماأتفقوا عليه، فقال لهم هلموا اليّ ثوباً كبيراً فأخذ الحجر ووضعه فيه بيده، ثم ألتفت إلىٰ شيوخهم وقال لهم لتأخذ كل قبيلة بطرف منه ثم أرفعوه جميعاً، فأنبهر الجميع لحكمته ﷺ فهو بعمله هذا حفظ حقوق الجميع، ولم يعط لأحدٍ امتيازاً علىٰ الآخرين.

بعثته

لقد كانت مسألة ظهور نبي في آخر الزمان من الأمور الرائجة في تلك المنطقة في ذلك الزمان، وقد اتفق المؤرخون علىٰ أنه قبل بعثة الرسول ﷺ ظهرت بوادر التنكر للوثنية بين العرب في شبه الجزيرةالعربية فكان هناك من يترقب ظهور نبي ينقلهم من عبادة الاصنام والاوثان إلىٰ عبادة الاله الواحد، ومنهم زيد بن عمرو بن نفيل، ورقة بن نوفل، عبيدالله بن جحش وآخرون غيرهم، وينقل عن زيد بن عمرو بن نفيل وهو يوصي أبنه قائلاً:

«أنا ننتظر نبياً من ولد إسماعيل ولا اراني أدركه، بين كتفيه خاتم النبوة، اسمه أحمد، يولد ويبعث في هذا البلد (مكة) فأياك أن تخدع عنه، فأني طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم، فكل من اسأل من اليهود والنصارىٰ والمجوس يقولون هذا الدين وراءك وينعتونه

بمثل ما نعته لك، ويقولون لم يبق نبي غيره»[١].

وكما ذكرت فأن الرسول ﷺ كان غالباً ما يلجأ إلىٰ الجبال لفترة من أجل الخلوة والعبادة والتفكر، وكان يقضي أكثر الأوقات في (غار حرا)[٢]. فكان يقضي شهر رمضان كله من كل عام في غار حراء مكتفياً بالقليل من القوت تحمله إليه زوجته الوفية خديجة، وفي غير شهر رمضان أيضاً كان يقضي أوقاتاً طويلة في هذا الغار مستغرقاً ومنقطعاً عن الدنيا، ومهيئاً نفسه لأمر عظيم ينتظره.

وفي ذلك الغار تجلىٰ الكلام الالهي علىٰ لسان الروح الامين (جبرئيل)، موحياً ببداية آخر الرسالات الالٰهية وأعظمها، وفيه أختار الله سبحانه عبده ورسوله (محمّداً) ﷺ ليصدع بالدين الخاتم، وفيه نزلت أوّل آيات القرآن الكريم الكتاب الالٰهي كتاب الهداية والسعادة.

نعم في غار حراء كانت البداية، فبعد أن قضىٰ النبي ﷺ فترة طويلة في العبادة والانقطاع إلىٰ خالقه، جاءه رسول ربه ـ جبرئيل الامين ـ يناديه بصوتٍ لا ينفذ لغير قلبه قائلاً «اقرأ يا محمّد» فيصغي النبي ﷺ ويجيب «ما أنا بقارئ» حيث أنه كان لم يدرس عند أحد، ويردد عليه جبرئيل القول، ويكرر النبي ﷺ «ما أنا

---

(١) الفضائل الخمس من الصحاح الستة ج ١ / ص ٣١، سيرة المصطفىٰ: ص ٩١.

(٢) يقع جبل حراء في شمال مكة المكرمة ويستغرق الصعود إلىٰ غار حراء مدة نصف ساعة من الزمن، وهو من الاماكن المقدسة عند المسلمين يقصدونه للزيارة والتبرك.

بقارئ» وفي المرة الثالثة أمره أن أقرأ، فوجد النبي ﷺ في نفسه القدرة علىٰ القراءة بإذن الله، فقرأ عليه الامين جبرئيل عليه السلام والنبي ﷺ يقرأ معه أوّل آيات كتاب الهداية للبشرية: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق* خلق الانسان من علق* إقرأ وربك الاكرم * الذي علم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم﴾ [1]. وسمع النبي ﷺ صوتاً من السماء يقول: يا محمّد أنت رسول الله وأنا جبرئيل»، وبعدها توجه النبي ﷺ إلىٰ بيت خديجة، وحدثها بكل ما سمع ورأىٰ من أمر جبرئيل عليه السلام، فعظمت خديجة أمره وآمنت به.. وكانت بعثة النبي ﷺ في السابع والعشرين من شهر رجب، وقد بلغ النبي ﷺ الأربعين من عمره الشريف.

الدعوة إلىٰ الإسلام

بدأ النبي ﷺ دعوته سراً، فكان يدعو الناس إلىٰ الإسلام بالخفاء، من خلال اتصاله الشخصي بمن يراه مؤهلاً وصالحاً للدعوة ومستعداً لقبول النور الالٰهي، وأوّل من آمن به من النساء زوجته خديجة، ومن الرجال ابن عمه ووصيه (علي بن أبي طالب عليه السلام)، واستمرت دعوته السرية ﷺ مدة ثلاث سنوات، استطاع خلالها النبي ﷺ أن يجذب إليه جماعة من الناس، قبلوا دعوته وآمنوا بالله الواحد وكفروا باللات والعزىٰ (صنمي قريش)، ولكنهم حاولوا

---

(١) العلق: ١ ـ ٥.

قدر الامكان أخفاء أيمانهم خوفاً من بطش طواغيت قريش.

ولكن سرعان ما وصلت أخبار دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلىٰ أسماع مشركي قريش، ولكنهم سخروا منها لأنهم لم يشعروا بخطر يهددهم، ولا سيما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يتعرض لأصنامهم بسوء بصوره علنية خلال دعوته السرية..

وبعد هذه الفترة، جاء الأمر الالٰهي ببدء الدعوة العلنية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل سبحانه ﴿واصدع بماتؤمر وأعرض عن المشركين﴾ (١). فأعلن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يدعو إليه سراً، وأمره الله سبحانه أوّلاً بعشيرته واقربائه ﴿وأنذر عشيرتك الاقربين) (٢).

فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم سادة عبدالمطلب وشيوخهم إلىٰ مأدبة، ولما فرغوا من الطعام تكلّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: «أن الرائد لا يكذب اهله، والله الذي لا اله إلّا هو أني رسول الله اليكم خاصة، وإلىٰ الناس عامة، والله لتموتنّ كما تنامون، ولتبعثنّ كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون وإنها الجنّة أبداً والنار أبداً، ثم أضاف يا بني عبدالمطلب أني والله لا أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، أني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله عزّ وجلّ أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤمن بي ويؤازرني علىٰ هذا الأمر علىٰ أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم فسكت القوم جميعاً. وقام

---

(١) الحجر: ٩٤. (٢) الشعراء: ٢١٤.

(علي بن أبي طالب عليه السلام) وقال أنا يا رسول الله، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أن هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا.. فقام القوم يضحكون مستهزئين به»[1].

وبعدها تسربت أخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته في مكة وخارجها، ولم يعد أمرها خافياً على أهل مكة والقرىٰ المجاورة، وشرع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنشر تعاليم ربه بين الناس، يأمرهم بعبادة الله وحده ونبذ الاوثان والاصنام، ويدعو إلىٰ العدل والمحبة ويؤكد علىٰ كرامة الإنسان وحريته، وينهاهم عن الظلم والفسق والفواحش، عندها أحس طواغيت قريش بالتهديد والخطر الذي يواجههم، فرأوا في دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحدياً لدينهم وأساءة لآلهتهم واصنامهم، وتهديداً لمصالحهم، فتشاوروا وأجمعوا علىٰ القضاء علىٰ دعوته قبل استفحالها فاستخدموا شتىٰ الوسائل من تهديد وترغيب وتعذيب، فكانوا يعذبون كل من آمن بدعوته عذاباً شديداً قد يصل في بعض الاحيان إلىٰ الموت، ولكن بالرغم من كل هذا، كان الناس يرون ان تعاليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أقرب إلىٰ فطرتهم، فيدخلون في الدين الجديد ويتحملون الأذىٰ والصعاب في سبيل الله.

وحاولت قريش التعرض للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن وجود عمه أبي طالب كان يحول دون ذلك، أذ أنه كان سيّد بني هاشم وأمره مطاع

---

(١) تاريخ الطبري ٥٤٢/١.

بينهم، وكانت عشيرة بني هاشم وبني عبدالمطلب يحسب لها حساباً خاصاً في مكة، ولذلك لم يجرؤوا علىٰ التعرض للنبي ﷺ خاصة وانهم يعلمون شدة العلاقة والمحبة بين أبي طالب والنبي ﷺ.

واستمر أنتشار الإسلام وتعاليمه في مكة، واعتنق هذا الديـن أناس من مختلف القبائل، فالنبي ﷺ كان يسـتغل فـرصة حـج القبائل إلىٰ مكة في كل عام، فيعرض الدين علىٰ القبائل المختلفة التي تقصد مكة، ولرفعة تعاليم الإسلام وجاذبيتها، ونزول القرآن الكـريم ببيانه الاعجازي، وخلق النـبي ﷺ وتـعامله وفـصاحته، كـانت الناس تندفع إلىٰ قبول هذا الدين الجديد، فأصبح له أنصار واتباع في مكة وخارجها.

فأحس طواغيت قريش أن دينهم وآلهتهم وأصنامهم في خطر كبير، فجاءوا إلىٰ أبي طالب كفيل الرسول وحاميه وابلغوا تهديدهم للنبي ﷺ بواسطته وقالوا: «يا أبا طالب، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا وانّا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنّا، وأنّا والله لا نصبر علىٰ هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب ألهتنا، حتىٰ تكفه عنّا، أو ننازله وأياك في ذلك حتىٰ يهلك أحد الفريقين».

فجاء أبو طالب وأخبر النبي ﷺ ما قاله زعـماء قـريش، فكان الرد النبوي بأنه لن يترك دعوته لانها أمر الهي، فلما علموا ذلك أحـتالوا أن يسـلكوا طـريق التـرغيب للـنبي ﷺ ، فـعرضوا

عليه صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون أكثرهم مالاً، وأن يجعلوه ملكاً وسيداً عليهم ويعطوه كل ما يريد شرط أن يتخلىٰ عن دعوته ويرجع إلىٰ ملتهم، فجاء رد النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدوي عبر التاريخ «يا عمّ، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي (يساري)، علىٰ أن أترك هذا الأمر، حتىٰ يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته»[1]، ليعلن موقفه الثابت. مما دفع بالمشركين إلىٰ تصعيد حملات التعذيب للمسلمين، ونشر الأشاعات والكذب عن شخصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشتمه وقذفه.

الهجرة إلىٰ الحبشة

لما رأىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن حملات التعذيب أشتدت علىٰ المسلمين، وليس له القدرة علىٰ دفع الاذىٰ عنهم أمرهم بالخروج من مكة والهجرة إلىٰ الحبشة، وقال لهم أن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد، حتىٰ يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه، وهي الهجرة الأولىٰ للمسلمين.

وكان بالحبشة ملك نصراني يدعىٰ (النجاشي) معروف بعدالته، وبعدما وصل بعض المسلمين إلىٰ الحبشة ورأوا حسن المعاملة هناك، بدأت الهجرة الثانية للمسلمين اليها، وكان عددهم أكبر بكثير من المهاجرين الاوائل للحبشة، وقد وجد المسلمون بلاد الحبشة كما وصفها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلاداً آمنة، فلم يتعرضوا فيها إلىٰ مضايقة. ولما

---

(١) سيّد المرسلين: ١/٤٠٤.

وصلت أخبارهم إلىٰ المشركين في مكة، أمتلأوا غيظاً وأصابهم الذعر خشية نفوذ تعاليم الإسلام بين أهل الحبشة، لذا أسرعوا في أرسال وفد إلىٰ النجاشي، مع هدايا كثيرة طالبين منه اعادة الذين هاجروا من مكة. فلما وصل الوفد قالوا للملك:

«أن الذين هاجروا إليك هم سفهاء فارقوا دين قومهم وجاءوا بدين جديد، وقد بعثنا إليك أشراف قومهم لتردّهم إليهم» فدعا الملك المهاجرين وأحضرهم عنده يسألهم عن أمرهم، وكان متكلمهم (جعفر بن أبي طالب) فسأله النجاشي: ماهذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحدٍ من هذه الملل؟

فأجابه جعفر قائلاً «أيّها الملك كنّا قوماً أهل جاهلية نعبد الاصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ويأكل القوي منا الضعيف، فكنّا علىٰ ذلك حتىٰ بعث الله ألينا رسولاً منّا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه فدعانا إلىٰ الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنّا نعبد نحن واباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان، وأمرنا بصدق الحديث، واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه وآمنا به، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا في ديننا، ليردّونا إلىٰ عبادة الاوثان، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا

وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلىٰ بلادك واخترناك علىٰ من سواك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك».

فأثّر حديث جعفر بالملك، فقال له: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال جعفر نعم، فقرأ جعفر مطلع سورة (مريم) والتي تبين طهارة وعفة مريم عليها السلام وقدسيتها وعظمة مقام المسيح عليه السلام وعلو شأنه، فلما سمع النجاشي ذلك بكىٰ حتىٰ أخضلت لحيته بالدموع وبكت الاساقفة وقال النجاشي: «أن هذا والذي جاء به عيسىٰ عليه السلام ليخرج من مشكاة واحدة». ثم التفت إلىٰ موفدي قريش وقال، انطلقا فلا والله لا أسلمهم اليكما، وردّ إليهم هداياهم[1].

وتنقل الكتب التاريخية أنه أسلم بعد ذلك، ولما رجع الوفد إلىٰ مكة خائباً، عمد المشركون وطواغيت مكة هذه المرة إلىٰ الحصار الاقتصاري والاجتماعي.

الحصار الاقتصاي والاجتماعي

وبعد كل هذه المحاولات البائسة من قبل طواغيت قريش أجتمعوا وقرروا في هذه المرة على فرض الحصار الاقتصادي والاجتماعي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعشيرته لاجبارهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم للتخلي عن موقفه ودعوته، فكتبوا صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة

---

(١) السيرة النبوية (أحمد بن دخلان) ٢١٣/١ وغيرها.

وتعاقدوا فيها على أن لا ينكحوا من بني هاشم وبني المطلب ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم[١].

فلما فعلت قريش ذلك انحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى أبي طالب ، فأمرهم أبو طالب بالخروج من مكة ودخول وادي بين جبال مكة يعرف بـ (شعب أبي طالب) وقد أستمر هذا الحصار مدة ثلاث سنين ، وكان شديداً وقاسياً كما ينقل المؤرخون وكانوا لا يخرجون من الشعب الاّ في الاشهر الحرم فيأتون الى مكة فيشترون ويبيعون رغم مضايقة قريش لهم في هذه الفرصة أيضاً ، وكان النبي ﷺ ينتهز هذه الفرصة لنشر دعوته بين القبائل التي تقصد مكة عادة في هذه الفترة.

واستمر الحال كذلك الى أن أوحى الله سبحانه الى النبي ﷺ بأن (الارضة)[٢] قد أتلفت صحيفتهم ولم يبق فيها الاّ جملة (باسمك اللهم) فأخبر النبي ﷺ عمه أبو طالب بذلك، فجاء أبا طالب مع النبي ﷺ الى مشركي قريش وقال لهم: «أن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني ان الله سبحانه أوحى اليه أنه بعث على صحيفتكم الدابة فأكلت جميع ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور وترك اسم الله فقط ، فهلّم صحيفتكم فأن كان حقاً فأتقوا الله

---

(١) تاريخ الطبري ج١ ص٥٤٩ ، السيرة النبوية ج١ ص٢١٣.

(٢) حشرة معروفة تنخر في الأخشاب والأوراق.

وأرجعوا عما أنتم عليه ، وأن كـان بـاطلاً دفـعته اليكـم فأن شـئتم قتلتموه».

فرضوا بذلك وتعاقدوا عليه ثم أنزلوا الصحيفة من الكعبة واذا ليس فيها حرف الاّ جملة (باسمك اللهم) كما أخبرهم النبي ﷺ ، ولكن رغم ذلك لم يوفوا بعهدهم وازدادوا تكبراً وتعنداً، ولكن بعض المشركين ندموا على فعلتهم ونقضوا المقاطعة فرجـع النـبي ﷺ وعشيرته الى مكة ثانية (١).

ولكن وبعد فترة من رجوعهم أصـاب النـبي ﷺ حـادث مؤلم وهو رحيل زوجته الوفية خديجة التي عـاضدته طـوال فـترة دعوته بكل وجودها ، فتألم النبي ﷺ كثيراً لهذا المـصاب ، ولم ينقضي حزن النبي ﷺ حتى أصيب بنكسة أعظم وهي وفاة كفيله وحاميه والمدافع عنه عمه أبي طـالب ، الذي عـانى وأهـله الكـثير وعرّض نفسه للموت والحرمان من أجل نشر الدعوة الالهية ، فعظمت المصيبة على النبي ﷺ كما ينقل عنه أنه « ما نالت قريش مـني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب» وذلك لان قريش شددت بعد ذلك من آذاها للنبي ﷺ كثيراً.

---

(١) حياة النـبي وسـيرته ، الشـيخ مـحمد قـوام الوشـنوي ص١٦١، سـيد المرسلين ج١ ص٥٠٣.

هجرته (ص)

بعد أن فقد رسول الله ﷺ عمه أبا طالب وزوجته ، واجه ظروفاً صعبة للغاية ، واحدقت به الاخطار وأصبحت تهدد حياته ، فعزم النبي ﷺ الخروج من مكة لانه أحس أن تبليغ الدعوة في مكة لم يعد ممكناً ، فأتجه نحو الطائف ودعا أهلها الى الاسلام ، فأبوا ذلك ورفضوه ، ولم يكتفوا بالرفض بل قذفوه بالحجارة حتى سالت دماؤه، فرجع الى مكة.

ورغم الاضطهاد الذي واجهه النبي ﷺ في مكة ، استمر في نشر الرسالة الالهية بين القبائل الوافدة الى مكة في موسم الحج والاتصال بأشرافها ، وكان العرب من أهل يثرب من قبيلة الاوس والخزرج ممن يأتون الى مكة فى كل موسم فيعرض عليهم الاسلام، فكانوا عندما يعودون الى يثرب ينقلون أخبار النبي ﷺ هناك فأنتشرت أخباره في يثرب ،ولكن لم يؤمنوا بالنبي ﷺ ودعوته.

وفي أحد الايام التقى النبي ﷺ بجماعة من قبيلة الخزرج ودعاهم الى الاسلام فأمنوا وكانوا ستة أشخاص ، ومما ساعد على أيمان هؤلاء أن اليهود كانوا مجاورين لهم في يثرب ،وكانوا اذا وقع بينهم نزاع ،توعدهم اليهود بأن نبياَ سيبعث، وقد أطل زمانه سنتبعه ونقتلكم قتل عاد وأرم ،ولما ألتقوا بالنبي ﷺ قالوا أنه النبي الذي كان اليهود يتوعدوننا به ،فلا يسبقونكم اليه ، فآمنوا به واتبعوه ،

وعادوا الى يثرب وأستطاعوا من نشر هذه الدعوة هناك . فأعتنق عدد من أهل يثرب الاسلام ، فلما كان العام الثاني جاء من يثرب اثنا عشر رجلاً والتقوا بالنبي ﷺ بالعقبة فبايعوا الرسول ﷺ وآمنوا به .

وبدأ الاسلام ينتشر شيئاً فشيئاً في يثرب ، وفي العام المقبل جاء أناس كثير من أهل يثرب لاداء مناسك الحج وللاستماع الى دعوة النبي ﷺ فأمن الكثير منهم وكانت البيعة الثانية ،وبهذا بنيت أول قاعدة للاسلام في يثرب فأمرالنبي ﷺ المسلمين في مكة بالهجرة الى يثرب ،ولم يبق في مكة سوى النبي ﷺ ووصيه علي بن أبي طالب وبعض المسلمين، ثم هاجر النبي ﷺ هو أيضاً تاركاً مكة الى يثرب سنة ١٤ من البعثة، واستقبل في يثرب استقبالاً رائعاً وبهذا انتهت المعاناة والشدائد الذي واجهها النبي ﷺ في مكة من قبل المشركين .

ولكن المشركين لم يقفوا مكتوفي الايدي وقد تجرعوا كأس الذلة والهوان، فأستمروا في محاربتهم للدعوة الالهية من خلال الدسائس والتآمر على المسلمين، ووقعت معارك بين المسلمين والمشركين، كمعركة بدر واحد وغيرها، وبين المسلمين واليهود كمعركة خيبر وغيرها. واستطاع المسلمون خلال فترة قصيرةمن تقوية شوكتهم. فأصبحوا قوة لا يستهان بها واستطاع النبي من تأسيس الدولة الاسلامية في يثرب ومنهاتم نشر دعوتهالىالعالم كله.

فتح مكة

في السنة السادسة للهجرة قصد النبي ﷺ مكة لاداء فريضة الحج مع أنصاره وأتباعه، فخرج الى مكة مع الف وستمائة رجل وهو لا يحمل سلاحاً سوى ما يحمله المسافر عادة ، ولما علمت قريش بذلك أتفقت على منع النبي ﷺ من دخول مكة ، ولما وصل النبي ﷺ الى منطقة قريبة من مكة يقال لها (حديبية) بعثت قريش من يفاوض النبي ﷺ ويعقد معه صلحاً سمي (صلح الحديبية)واتفقوا على أن لا يدخل النبي ﷺ مكة في هذه السنة ويسمحوا بالعام القادم من دخولها، وايقاف الحرب بينهم لمدة عشر سنوات وغيرها من البنود فوافق النبي ﷺ فرجع الى يثرب مركز حكومته .

وفي هذه الفترة بعث النبي ﷺ رسائله الى الملوك والامراء في مختلف نقاط العالم يدعوهم الى التوحيد والاسلام ، فبعث الى قيصر ملك الروم ، والى ملك الفرس ، والى ملك الحبشة ، والى أمير الغساسنة في الشام والى مصر واليمن وغيرهم .

وفي السنة القادمة دخل النبي ﷺ مكة حسب الاتفاق مع الفين من المسلمين لاداء مناسك الحج واظهار العبودية لله سبحانه وحده لا شريك له وتركت زيارته هذه الاثر الكبير في نفوس بعض المشركين فأعتنقوا الاسلام ، فلما أحس زعماء قريش بهذا الامر ،

طلبوا من النبي ﷺ مغادرة مكة بعد اداء مناسك الحج مباشرة ، فقبل النبي ورجع الى يثرب بعد اداء مناسك الحج .

وبعد مدة من الزمن نقضت قريش الاتفاق والصلح الذي عقدته مع النبي ﷺ في صلح الحديبية ،بغارتها على حلفاء النبي ﷺ الذين جاءوا واستنجدوا به، فأمر النبي ﷺ بتجهيز جيش ضخم قوامه عشرة الاف رجل ليدخل مكة فاتحاً، ولما سمعت قريش بذلك أصابها الرعب ، فجاء زعيم المشركين (ابو سفيان) معتذراً ولكن النبي ﷺ أصرّ على دخول مكة فاتحاً فاستسلم المشركون ودخل النبي ﷺ مكة فاتحاً من دون قتال ...

وكان النصر الالهي العظيم .... فها هو يتيم عبد المطلب الذي قاسىٰ وعانىٰ من طواغيت قريش الذين شتموه واستضعفوه وعذبوه واستهزؤ به ،يدخل مكة قائداً لجيش يرعب القلوب فاتحاً منتصراً ناشراً لدعوته رغم أنف المشركين ومحطم أصنامهم واحلامهم ، ليظهر الله سبحانه دينه ، فأنتشرت انوار التوحيد في ربوع مكة وأسلم أغلب أهلها ، وعاد المهاجرون الى وطنهم وأهلهم منتصرين ....

واستمر النبي ﷺ في نشر دعوته حتى لبىٰ نداء ربه في السنة الحادية عشرة للهجرة . وعمره الشريف ثلاث وستون سنة ، وبذلك تنتهي الحياة الارضية لنبي آخر الزمان محمد ﷺ الذي أرسل بالدين الكامل والخالد الى أبد الدهور وحتى تقوم الساعة .

دلائل نبوته(ص)

ان للتعرف على صدق مدّعي النبوة بصورة عامة طرقاً ، منها تنصيص النبي السابق به ، أو اظهر المعاجز وخوارق العادة لاثبات ارتباطه بالسماء والغيب، ولاجل اثبات نبوة النبي ﷺ سنشير باختصار الى هذين الطريقين :

أولا : البشارة به في العهد الجديد

ان القرآن الكريم كتاب الوحي السماوي يشير في بعض اياته الى مسألة مهمة وهي أن اليهود والنصارىٰ كانوا يعرفون أن هناك نبي في آخر الزمان ، ومعرفتهم به من خلال الاوصاف والعلامات الموجودة في كتبهم (العهدين) لا تقبل الشك ، فالقرآن يشير الى هذا المعنى في آيات كثيرة منها قوله تعالى « الذين يتبعون الرسول الاميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف

وينهاهم عن المنكر»[١] وأيضاً قوله تعالى ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون**﴾[٢].

فالقرآن الكريم احتج على أهل الكتاب بأن النبي ﷺ قد بشر به في التوراة والإنجيل وان كان هذا الادعاء غير صحيح ، لاحتج أهل الكتاب بذلك على النبي ﷺ ولانكروا البشارة به في كتبهم، ولكنهم على العكس من ذلك لاذوا بالصمت واختلاق التهم واخفاء الحق وتفسير الكتاب وفق أهوائهم ، لابعاد أتباعهم عن قبول الحق والايمان بالنبي الخاتم ﷺ ، والباحث في التاريخ يجد أن البعض من علماء أهل الكتاب ولاسيما من النصارى بعدما أدركوا النبي ﷺ أو سمعوا بدعوته ورسالته آمنوا به واعتنقوا الاسلام ، لمعرفتهم بأنه النبي المنتظر في آخر الزمان، وقصة بحيرا الراهب وسلمان الفارسي وغيرهم الكثير تؤيد هذا المدعى . وقد أشار القرآن الكريم الى هذه الحقيقة في قوله تعالى ﴿**ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا أمنا فاكتبنا مع الشاهدين**﴾[٣]

---

(١) سورة الاعراف: آية ١٥٧. (٢) سورة البقرة : آية ١٤٦

(٣) سورة المائدة : ٨٣ - ٨٤

ويؤكد القرآن الكريم بأن يسوع المسيح عليه السلام قد بشر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم باسمه الصريح كما في قوله تعالى « واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ، ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد»[١] ويمكن اثبات هذه الحقيقة حتى في الاناجيل (العهد الجديد) المتداولة بين ايدينا الآن ، وبالخصوص من انجيل يوحنا ، واليك عزيزي القارئ بعض النصوص من انجيل يوحنا بهذا الخصوص :

يقول (اذا كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ، وأنا أطلب من الاب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم الى الابد) (يو : ١٤ : ١٥ - ١٦) . وأيضاً (يو : ١٤ : ٢٦) «وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الاب باسمي فهو يعلّمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم» وأيضاً (يو : ١٥ : ٢٦) « ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا اليكم من الاب روح الحق الذي من عند الاب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً لانكم معي من الابتداء» وأيضاً « يو : ١٦ : ٧ - ٨ » « لكني أقول لكم الحق ، انه خير لكم أن أنطلق لانه ان لم أنطلق لا يأتيكم المعزي ولكني ان ذهبت أرسله اليكم ومتء٢ى جاء ذاك يبكّت العالم على خطية وعلى برٍ وعلى دينونة» وأيضاً (يو : ١٦:١٣) «وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا

---

(١) سورة الصف : آية ٦.

يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأُمور آتيه»...

وهذه النصوص كلها تشير بالحقيقة الى الاسم الصريح للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد أستدل على ذلك مؤلف كتاب «أنيس الاعلام في نصرة الاسلام»[١] وأثبت أن النصوص الآنفة الذكر من انجيل يوحنا كلها تشير الى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكن علماء الكتاب المقدس ومفسريه هم الذين حرّفوا معنى هذه الكلمة ، ونذكر هنا استدلاله بأختصار ، فيقول :

وجه الاستدلال يتوقف على بيان نكتة ،وهي أن المسيح عليه السلام كان يتكلم بالعبرية (وكانت اللغة السائدة في فلسطين مع اللغة الارامية) وكان يعظ تلاميذه بها ،لانه ولد وشب بين ظهرانيهم هذا من جانب ،ومن جانب آخر أن المؤرخين أجمعوا على أن الاناجيل الثلاثة (لوقا، مرقس ، يوحنا) كتبت من أول يومها باللغة اليونانية ، وأما أنجيل متي فكان عبرياً من أول انشائه (وثم ترجم الى اليونانية ولا وجود للنسخة العبرية الآن).

وعلى هذا فالمسيح عليه السلام بشّر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم باللغة العبرية ، وانما نقله الى اليونانية كاتب الإنجيل الرابع (يوحنا) وكان عليه

---

(١) مؤلف هذا الكتاب هو احد القسيسين ، وينقل في مقدمة الكتاب أنه ولد في ارومية في ايران واشتغل بطلب العلوم الدينية وكان في فرقة البروتستانت ، وقام بتأليف هذا الكتاب بعد اسلامه ولقب بفخر الاسلام واسمه محمد صادق وهذا الكتاب في ستة اجزاء وطبع في ايران باللغة الفارسية.

التحفظ على لفظ المسيح عليه السلام، لأن القاعدة الصحيحة تقتضي عدم تغيير الاعلام والاتيان بنصها الاصلي ، لا ترجمة معناها. ولكن «يوحنا» لم يراع هذاالاصل ، وترجمه الى اليونانية فضاع لفظه الاصلي الذي تكلم به المسيح عليه السلام، وفي غب ذلك حصل الاختلاف في المراد منه ،وأما اللفظ اليوناني الذي وضعه الكاتب «يوحنا» مكان اللفظ العبري فهو مردد بين كونه «پارا قليطوس، pericletos) الذي هو بمعنى المعزيّ والمسلي والمعين، أو «پريقليطوس pericletos» الذي هو بمعنىٰ المحمود، الذي يرادف أحمد.

ولاجل تقارب الكلمتين في الكتابة والتلفظ والسماع ، حصل التردد في المبشّر به ، ومفسروا ومترجموا انجيل يوحنا ، يصرّون على الاول ولاجل ذلك ترجموه الى العربية بـ«المعزي» والى اللغات الاخرى بما يعادله ويرادفه ،وأدّعوا أن المراد منه هو روح القدس ، وأنه نزل على الحواريين في اليوم الخمسين بعد فقدان المسيح عليه السلام (يوم العنصرة)[١]...

ولكن القرائن الكثيرة كلها تأبى هذا التفسير لهذه الكلمة بـ «المعزّي» بل كون معناها «المحمود ،أحمد» أقرب الى الظاهر واليك بعض القرائن على ذلك ، كما ينقلها الاستاذ العلامة السبحاني: -

١ - انه وصف المبشّر به بلفظ (آخر) « وأنا أطلب من الاب

(١) الالهيات ج٣ ص٤٤٩.

فيعطيكم «معزياً» آخر ،وهذا لايناسب كون المبشر به نظير روح القدس لعدم تعدده ، وانحصاره في واحد ، بخلاف الانبياء فانهم يجيئون واحداً بعد الاخر.

٢ – انه ينعت ذلك المبشّر به بقوله «ليمكث معكم الى الابد» وهذا يناسب نبوة النبي الخاتم التي لا تنسخ.

٣ – أنه يقول «وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الاب باسمي ،فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم» وهذه الجملة تناسب أن يكون المبشر به نبياً يأتي بعد فترة من رسالة النبي السابق بعد أن تصير الشريعة السابقة على وشك الاضمحلال والاندثار، فيأتي النبي اللاحق يذكر بالمنسيّ ، وأما لو كان المراد هو الروح القدس فقد نزل على الحواريين بعد خمسين يوماً من فقد المسيح عليه السلام حسب ما ينص عليه كتاب أعمال الرسل « ١ : ٥ ، ٢ : ١–٤ »، أفيظن أن الحواريين نسوا في هذه المدة اليسيرة معالم المسيح عليه السلام وتعاليمه حتى يكون النازل هو الموعود به ؟!.

٤ – أنه يقول «لانه ان لم أنطلق ، لا يأتيكم «المعزّي» ولكن أن ذهبت أرسله اليكم » وهذا يناسب أن يكون المبشّر به نبياَ حيث علق مجيئه بذهابه ، لانه جاء بشريعة عالمية ، ولا تصح سيادة شريعتين مختلفتين على أمة واحدة «في وقت واحد» ولو كان المبشّر به هو روح القدس ، لما كان لهذا التعليق معنى لان روح القدس

حسب تصريح أنجيلي متى ولوقا، نزل على الحواريين عندما بعثهم المسيح عليه السلام للتبشير والتبليغ (أنظر « متى : ١٠ - ١١) (لو : ١٠ - ١١).

٥ - ويقول «ومتى جاء ذاك يبكّت العالم على خطيةِ وعلى برِ وعلى دينونة ....» وهذا يؤيد أن يكون المبشّر به نبياً اذ لو كان المراد هو روح القدس ، فهو نزل في يوم الدار على الحواريين حسب زعمهم ، فما وبخّ اليهود الذين لم يؤمنوا به أصلاً ، لعدم رؤيتهم اياه . ولم يوبخ الحواريين لانهم كانوا مؤمنين به .

٦ - ويقول «ومتى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق ، لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية». وهذا يتناسب مع كون المبشّر به نبياً خاتماً، صاحب شريعة متكاملة ، لا يتكلم الاّ بما يوحى اليه ، وهذه كلها صفات الرسول الاكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم [١].

وأكتفي بهذه القرائن على أن المحققين قد ذكروا قرائن اخرى كثيرة تثبت أن المراد من المبشّر به هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن اراد التوسع فليطالع كتبهم [٢].

وختاماً لهذا المختصر أنقل قصة ذكرها مؤلف كتاب «أنيس

---

(١) الالهيات ج٣ ص ٤٥٠ - ٤٥٢.

(٢) من أراد التفصيل فليرجع الى كتاب «أنيس الاعلام في نصرة الاسلام» ج٥ ص ١٣٩ - ١٧٢.

الاعلام في نصرة الاسلام» بهذا الخصوص تتمة للفائدة، يقول المؤلف: «مؤلف هذا الكتاب أباً عن جد من أكابر القساوسة المسيحيين، وولادتي كانت في أرومية في ايران ، وتعلمت العلوم الدينية عند العلماء والمعلمين النصارى ومن جملتهم الاب (يوحنا بكير) والقس (يوحناى جان) وغيرهم من فرقة البروتستانت ، ومن فرقة الكاثوليك الاب (تالو) والقس (كوركز) وغيرهم من المعلمين التاركين للدنيا .

وفي سن الثانية عشرة أكملت الدراسة الاولية وتخرجت بدرجة قسيس، وبعد ذلك أحببت التوسع في البحث عن العقائد والملل المختلفة، ولا سيما المذاهب المسيحية، وطفت البلدان الكثيرة من أجل العلم الى أن انتهى بي المطاف عند عظيم القساوسة، المطران صاحب المقام الرفيع في فرقة الكاثوليك ،وكان صاحب منزلة وشأن عظيم ومشهوراً في ذلك المذهب بعلمه وتقواه وزهده ، بحيث ان الملوك والسلاطين والاشراف والرعية من فرقة الكاثوليك كانوا يلجؤون اليه في سؤالاتهم الدينية وينهلون منه معالم دينهم ، ويبعثون اليه بالهدايا الكثيرة ، ويتشرفون بالتبرك به .

وقد تعلمت الاصول والعقائد للمذاهب المختلفة عند هذا العالم الجليل، وكان يحضر درس هذا الاستاذ أيضاً الكثير من التلاميذ وكان يصل عددنا تقريباً الى خمسمائة تلميذ وبيننا الكثير من الاخوات

التاركات للدنيا «الراهبات»، وكانت لي مع العالم علاقة خاصة ،اذ كان له أنس ومحبة واهتمام خاص بي ،ولهذا فقد سلّمني مفاتيح المدرسة (المسكن والمخزن وغيرها) كلها باستثناء مفتاح لغرفة صغيرة خاصة به ، وكنت أظن أن فيها أمواله الشخصية ، ولذا كنت أحدث نفسي وأقول أن هذا العالم الجليل الزاهد في الظاهر لعله من أهل الدنيا وأنه (ترك الدنيا للدنيا)...

وامتدت مدة دراستي عنده الى السنة الثامنة عشرة تقريباً ، وفي أحد الايام نزل بالمطران الكبير مرض أقعده عن الدرس في ذلك اليوم ،وأمرني أن أبلغ التلاميذ بأنه لا يستطيع حضور الدرس ،لان مزاجه لا يساعد على التدريس ، وفعلاً خرجت الى التلاميذ لابلاغهم أمر الاستاذ ،فرأيت التلاميذ مجتمعين يتباحثون في مسألة علمية ، وكان حديثهم يدور حول كلمة (فارقليطا) في السرياني و (پيرقليطوس) باليوناني ، الذي ذكرها (يوحنا) في أنجيله نقلاً عن المسيح عليه السلام . وكثر الجدال والنقاش حول هذه الكلمة ، واختلفت الآراء في معنى هذه الكلمة ، وانتهى النقاش وانصرف التلاميذ دون الوصول الى نتيجة ...

وبعدها رجعت الى غرفة المطران الاعظم فسألني : يا بني عند غيابي اليوم بأي موضوع تباحثتم ؟ فذكرت له أن التلاميذ اختلفوا في معنى كلمة (فارقليطا) واوضحت له الآراء التي طرحها التلاميذ في

هذه المسألة فسألني : وما كان رأيك في هذه الكلمة ؟ فأجبته بأنني قد اخترت قول المفسر الفلاني . فقال لي لست مقصراً ، ولكن الحق خلاف هذه الاقوال جميعاً، لانه لا يعرف معنى تفسيرها هذا الاسم الشريف في زماننا الا القليل من الراسخين في العلم ، فدنوت منه وجلست عند قدميه ، واستعطفته قائلاً : أيها الأب الأعظم، انك تعلم شدة تعصبي للمسيحية ، واني قد صرفت عمري من اوله الى الآن في طلب العلم وتحصيله ، فماذا يحدث لو تتفضل وتتلطف عليّ ، وتوضح لي معنى هذا الاسم الشريف ...

فرأيت عينيه اغرورقت بالدموع واجهش الشيخ بالبكاء ، وقال : يا بني انك والله أعز الناس عندي ،ولك منزلة خاصة، ومع أن هذا الاسم الشريف له فائدة عظيمة ، ولكن بمجرد انتشار هذا المعنى فان المسيحيين سوف يقتلوننا معاً ، الاّ ان تعاهدني الله على انك لا تفشي هذاالسر في حياتي ولا تذكر اسمي بعد مماتي أيضاً ، لان المسيحيين ان علموا أن هذا التفسير أنا الذي كشفته فانهم سيخرجونني من قبري ويحرقونني...

فأغلظت له الايمان بالله العظيم القاهر الغالب ، وبحق عيسى ومريم عليهما السلام وبحق كل الانبياء والإنجيل ،بأني سوف لن أبوح بهذا السر عنك أبداً ، ولا أذكر اسمك في الحياة وبعد الممات .فطمأنَّ لي وقال : يا بني ان هذا الاسم هو من الاسماء المباركة لنبي

المسلمين ﷺ وهو بمعنى أحمد ومحمود ،ومن ثم ناولني مفتاح تلك الغرفة الصغيرة ، وقال افتح الصندوق الفلاني ستجد الكتاب الفلاني والفلاني فاتني بهما ، فذهبت وجئته بالكتابين ،وكانا باليوناني والسرياني ومكتوبان على جلدٍ قديم ،وقد ترجم لفظ (فارقليطا) فيهما بمعنى أحمد ومحمد فقال لي : اعلم يا بني ان العلماء والمترجمين المسيحيين قبل ظهور نبي الاسلام ﷺ لم يكونوا مختلفين في معنى (أحمد ومحمد) ولكن بعد ظهوره ﷺ فأن العلماء والقساوسة الكبار حرّفوا كل الكتب والتراجم التي تفسر هذه الكلمة الى هذا المعنى، من أجل حفظ رئاستهم ومنافعهم الدنيوية وأيضاً حسداً وعناداً وتكبراً، وابتدعوا معنىً جديداً لهذا الاسم الشريف ، وهذا المعنى الجديد لم يكن أبداً المقصود لكاتب الإنجيل ،ويمكن بسهولة ومن خلال ترتيب ونسق الايات الموجودة حالياً في انجيل يوحنا،معرفة المعنى الحقيقي لهذا الاسم وان معنى المسلّي والمعزي والروح القدس لم يكن المقصود لكاتب الإنجيل .

لأن المسيح عليه السلام اشترط في مجيئ(فارقليطا)ذهابه ورحيله ،لانه لا يجوز اجتماع نبيين مستقلين صاحبي شريعة عامة في زمان واحد ،بخلاف روح القدس الذي نزل يوم العنصرة (يوم الخمسين) بعد المسيح عليه السلام ،لانه مع وجود عيسى عليه السلام والحواريين نزل الروح القدس عليه وهو واضح في انجيل متى (٣ : ١٦ – ١٧) اذ يقول ان

الروح القدس نزل على المسيح عليه السلام بعد تعميده من قبل يوحنا المعمدان بصورة حمامة ...

وفي ختام القصة يضيف المؤلف «فسألت الحبر الاعظم : فما المانع من قبولك للاسلام ومتابعة سيد الانام مع انك تعلم فضيلة الاسلام وان متابعة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو طريق النجاة والصراط المستقيم المؤدي الى الله ؟ فأجاب : يا بني اني قد أطلعت على هذه الحقيقة في اواخر عمري وأنا شيخ كبير السن وفي الحقيقة أني لا استطيع ترك هذه الرياسة العظيمة والعزة والشأن والمقام الرفيع بين النصارى ، ولكني في الباطن مسلم وبحسب الظاهر نصراني ، واذا ما أعلنت اسلامي فأنهم سوف يقتلونني ..... فقلت له : اذن هل تأمرني أن أعتنق الاسلام ؟ فقال ان اردت النجاة يجب عليك قبول دين الحق ،ولانك شاب في مقتبل العمر عسى أن يهيىء لك الله سبحانه أسباب الحياة الدنيوية أيضاً ،واني سوف أكثر الدعاء لك ، على أني أشهدك يوم القيامة بأني باطناً من المسلمين والتابعين لسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم . واعلم أن اغلب العلماء والقساوسة الكبار في باطنهم لهم نفس حالتي، ولكنهم لا يستطيعون ترك الرياسة الدنيوية، وإلّا فليس هناك أي شك وشبهة في ان الاسلام اليوم هو دين الله على الارض [١].

---

(١) كتاب (أنيس الاعلام في نصرة الاسلام) ج١ ص٦ – ١٩ ..... والكتاب كما

نعم يا عزيزي القارئ انها الحقيقة التي لا غبار عليها، وهي واضحة وجلية لكل باحث، ولا شك ولا ريب فيها ولكن التعصب وحب الدنيا هي التي تمنع الانسان من الاذعان والخضوع للحق ، واعتقد ان هذه الحقيقة لوحدها كافية لكل عاقل ذي لب يروم الوصول الى الحق ،ولمن يستمع القول فيتبع أحسنه. فيؤمن بأن النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو النبي المبشّر به في التوراة والإنجيل ، وهو نبي آخر الزمان . وان الاسلام هو الدين الحق.

ثانياً : معاجزه (ص)

من الواضح أن الانبياء (عليهم السلام) عندما كانوا يظهرون النبوة ويقومون بتلبيغ الرسالة والدعوة الى الله سبحانه ، كان الناس بالمقابل - ولاثبات صدق دعوى النبوة - يطالبونهم بالمعاجز والآيات والخوارق للعادة التي يعجز عنها الانسان العادي ،ليتيقنوا بأن هذا النبي صادق في مدعاه وأنه مبعوث من قبل الله تعالى.

وكان الانبياء غالباً ما يستجيبون للناس ويظهرون المعاجز والآيات لهم ،بل وفي بعض الاحيان فأن النبي كان يأتي بالمعجزة قبل أن يطلب الناس ذلك منه، وهذا ما تنقله كتب التاريخ عن الكثير من الانبياء السابقين كموسى عليه السلام وعيسى عليه السلام وغيرهم .

=ذكرت طبع باللغة الفارسية وقد ترجمت القصة من الفارسية الى العربية .

والنبي الاكرم ﷺ لم يكن مستثنى من هذا الامر ، فانه عندما صدع بالرسالة والنبوة والدعوة الى الدين الالهي الخاتم طالبه قومه بالمعاجز والآيات لاثبات صدق دعواه ، وكان الرسول ﷺ يستجيب لهم ويلبي طلباتهم أحياناً وبالقدر الذي يفي بالمقصود ،وقد حفظ التاريخ الكثير من هذه المعاجز والّفت كتب كثيرة في هذا الجانب ، منها كتاب «اثبات الهداة بالنصوص والمعجزات»[١] وقد ذكر المؤلف في هذا الكتاب نقلاً عن كتب التاريخ الكثير من المعاجز التي جرت على يد الرسول الاكرم محمدﷺ منذ ولادته حتى وفاته.

ولكن بالرغم من هذا فأن بعض المعاندين للاسلام أنكروا أن يكون الرسول ﷺ قد أتى بمعجزة سوى القرآن الكريم ،فمثلاً القسيس الالماني «فندر» يذكر في كتابه «ميزان الحق» من (أن محمداً لم يأت بأية معجزة قط ») بل وأن الكثير من القساوسة أثاروا مثل هذه الشبهة ،جاهلين أو متجاهلين المعاجز الكثيرة التي ملأت صفحات التاريخ ، وأعتقد أن مثل هذا الادعاء الواهي لا يستند الى أي دليل علمي وهو خلاف ما يقتضيه البحث والتحقيق المنصف ، فلا يكاد يخلو كتاب تاريخي بعد البعثة النبوية الشريفة من ذكر معاجز

---

(١) الكتاب من تأليف الشيخ الحر العاملي (١١٠٤ هـ) وهو في ثلاثة مجلدات وقد جمع فيه المئات من معاجز النبي(ص).

النبي ﷺ والاشارة اليها تفصيلاً أو اجمالاً ،ومن معاجزه ﷺ على سبيل الذكر معجزة رد الشمس (القضية المشهورة)وأيضاً شفاء المرضى كما في غزوة خيبر عندما كان أمير المؤمنين (علي ابن أبي طالب) أرمداً فمسح النبي ﷺ بريقه الشريف على عينه فشفى ، وأيضاً حادثة الشجرة واطاعتها للنبي ﷺ وكذلك قصة الوليمة التي أطعم فيها النبي ﷺ أربعين رجلاً من عشيرته الاقربين بطعامٍ لا يكفي سوى لرجل واحد وأيضاً المعجزة المشهورة والتي ذكرها القرآن الكريم وهي معجزة شق القمر [١]، وأيضاً الاخبار بالمغيبات كأخباره بأسماء الائمة والخلفاء بعده واحداً بعد واحد وغيرها الكثير الذي لا يسمح المجال في هذا البحث المختصر من ذكرها، ولكن تبقى المعجزة الكبرى والخالدة للنبي ﷺ هي الكتاب الالهي الموحى (القرآن الكريم) خير شاهد على نبوته وصدقه ﷺ وهذا الكتاب السماوي هو أتم وأقوى دليل على أن النبي ﷺ مرسل من قبل الله سبحانه .

---

(١) والحادثة باختصار : « ان المشركين اجتمعوا الى رسول الله (ص) فقالوا : ان كنت صادقاً فشق لنا القمر فلقتين .فقال لهم رسول الله (ص) : ان فعلت تؤمنون ؟ قالوا نعم ، وكان ليلة بدر، فسأل رسول الله (ص) ربه أن يعطيه ما قالوا ، فشق القمر فلقتين ، ورسول الله (ص) ينادي يا فلان ،يا فلان ،اشهدوا » عن الالهيات ج٣ ص٤٣٩ والحادثة مذكورة في أغلب كتب التاريخ بالتفصيل.

القرآن الكريم واعجازه

كما ذكرت سابقاً فأن المسيحيين ينظرون الى القرآن الكريم على أنه كتاب من نتاج وفكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا علاقة له بالوحي والسماء . ولا شك في أن اثنين منهم لا يختلف في هذه العقيدة وعلى اختلاف مذاهبهم ،وهذا أمر بديهي لانهم ينكرون نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم . فلذا من الطبيعي أن يرفضوا الكتاب الذي جاء به، وقد أشربت هذه العقيدة في نفوسنا واذهاننا منذ الصغر وكثيراً ما كانوا يحذروننا من مطالعة هذا الكتاب لانه (والعياذ بالله) فيه ضلالة واساءة للديانة المسيحية ومقدساتها.

وأنا لست في صدد القاء نظرة شاملة على هذا السفر الالهي ، ولكن أرى من المناسب ذكر بعض الخصائص لهذا الكتاب الخالد، وأيضاً ذكر بعض اوجه اعجازه ، ومن ثم أذكر قصة المسيح عليه السلام وأمه الطاهرة مريم عليها السلام كما يحكيها الوحي الالهي: ـ

يحتوي القرآن الكريم على (١١٤) سورة ، وقد نزلت آيات القرآن على قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم تدريجاً ولمدة ثلاث وعشرين سنة ، وهي فترة حياته الشريفة منذ بعثته حتى رحيله الى الرفيق الاعلى . وأول صفة واضحة على هذا الكتاب هي شموليته ، فقد اشتمل القرآن على معارف الهية حقيقية رفيعة ، وأخلاق فاضلة ،وأحكام تشريعية ، وأخبار بالمغيبات ،وقصص وأمثال وحكم ومواعظ ، ومعارف وعلوم اخرى لم تكن معروفة حتى بعد البعثة الشريفة بقرون عديدة ، ثم أكتشف بعضها العلم الحديث، ومع اختلاف هذه المعارف والعلوم فقد بينّت بلغة فصيحة وبلاغة رائعة أسحرت قلوب ونفوس العرب في الجاهلية مع ما يشتهرون به من بلاغة وفصاحة.

والصفة الاخرى التي يمكن الاشارة اليها والتي تبين اعجاز هذا الكتاب بشكل واضح هي عدم وجود الاختلاف والتناقض بين آياته ، بل القرآن الكريم يعاضد بعضه بعضاً ،ويشهد بعضه على بعض فهل يمكن لانسان أن يأتي بكتاب جامعٍ لشتى مجالات وشؤون العالم الانساني ويلقي الى الدنيا معارف وعلوماً وقوانيناً وحكماً ومواعظاً وأمثالاً وقصصاً وغيرها من العلوم ،ثم لا يختلف حاله في شيً منها في الكمال والنقص والبلاغة والفصاحة مع أن الطبيعة البشرية من خصائصها أن الانسان يتكامل علماً وعملاً، وذلك من خلال كسبه للتجارب في حياته ، وأيضاً فحالات الانسان ومزاجه

تختلف من حيث الفرح والالم ، والعسر واليسر والمرض والعافية ، والسلم والحرب وغيرها ، وهذا ما هو مشهود بالوجدان عند كل انسان ، وهذا الكتاب كما ذكرنا جاء به النبي ﷺ خلال فترة ثلاث وعشرين سنة ، وفي حالات وأزمنة متفاوتة ، من حيث الشدة والرخاء ،والليل والنهار ، والسقم والعافية ، والسلم والحرب ،والخوف والامان ،ولكن بالرغم من كل هذا فاننا نراه على وتيرة واحدة ومستوى واحد ،لا تضاد بين معارفه ولا اختلاف بين أحكامه ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذا الدليل الاعجازي بقوله ﴿**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً**﴾ وخير دليل وشاهد على قولنا هذا العهد الجديد نفسه ،فالاختلاف فيه واضح وبيّن مع أنه لا يمكن مقايسته مع القرآن من حيث شموليته وجامعيته ومستوى العلوم والمعارف التي جاء بها القرآن الكريم.

وأيضاً من خصائص هذا الكتاب هي ذكره للمغيبات ،ومنها أخباره بقصص الانبياء السابقين وأممهم بشكل يختلف تماماً عمّا هو موجود في كتب العهدين ، وهذه القصص هي من أنباء الغيب كما يذكر ذلك سبحانه وتعالى بقوله في قصة كفالة زكريا لمريم ﴿**ذلك من أنباء الغيب توحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون**﴾ [١] وغيرها من القصص الاخرى

---

(١) آل عمران - ٤٤.

الكثيرة ، وأيضاً منها الاخبار عن الحوادث المستقبلية ،كالاخبار عن انتصار الروم بعد هزيمتهم كما في قوله تعالى **﴿غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بعض سنين﴾** [١].

والصفة الاخرى التي يتميز بها القرآن هي بلاغته وفصاحته التي تحدى بها الانس والجن في أن يأتوا بسورة واحدة من سوره. مع أن عرب الجاهلية مشهورون بفصاحة لسانهم ،وبلاغة حديثهم ،بل لا نبالغ لو قلنا بأن ما بلغه عرب الجاهلية من الفصاحة والبلاغة وكمال البيان لم يذكره التاريخ لواحدة من الامم السابقة لهم أو المتأخرة عنهم ،ومع هذا فأنهم وقفوا متحيرين بما يصفون هذا الكلام الذي لم يسمعوا بأبلغ وأروع منه قط ، وهذا ما أعترف به بعض فصحاء المشركين أنفسهم ، فما كان منهم الا ان رموه بالسحر ،لسمو معانيه ،وعذوبة أسلوبه ،وشدة تأثيره في نفوس الناس .

وقد مضى على هذا التحدي للقرآن من القرون ما يزيد على أربعة عشر قرناً ولم يجرء على معارضته أحد ،ومن جرب حظه

---

(١) سورة الروم آية (١ ـ ٦) والقصة باختصار هي : ينقل التاريخ أن دولة الروم ـ وكانت دولة مسيحية ـ انهزمت أمام دولة الفرس وهي وثنية، بعد حروب طاحنة بينهما سنة ٦١٤ م. فاغتمّ المسلمون، وفرح المشركون وقالوا للمسلمين: سنغلبكم كما غلبت الفرس الروم ـ ولكن وكما وعد القرآن فأن الروم استطاعوا أن يهزموا الفرس في سنة ٦٢٤م. الموافقة للسنة الثانية للهجرة. الالهيات ج٣ ص٤١٥.

وحاول تحديه ومعارضته لم يجني الاّ الخزي وافتضاح أمره ، كمسيلمة الكذاب وغيره ،وكتب التاريخ خير شاهد على هذا.

وأخيراً فأن هذا القرآن جاء به رجل أمي لم يتعلم عند معلّم من الانس ، بل ولم يكن يعرف القراءة والكتابة ،فالنبي ﷺ عاش بين قومه أربعين سنة ، ولم يأتي خلال هذه الفترة ببيت واحد من الشعر،وبعد هذه الفترة الطويلة من عمره الشريف ، جاء فجأة بكتاب بليغ وفصيح عجز عنه فصحاء العرب وبلغائهم وكلّت دونه ألسنتهم ،فلا يبقى شك في أن هذا الكتاب هو من وحي السماء أنزل على قلب النبي الامي الخاتم للرسالات ليكون معجزته الخالدة الى يوم القيامة، ويكون هدى ورحمة للعالمين على مدى الدهور.

قصة المسيح (ع) وأمه في القرآن الكريم

يحكي القرآن الكريم قصة المسيح عليه السلام وأمه بشكل مختلف عما نقلته كتب العهد الجديد ،فالقرآن يبدء القصة بذكر امرأة عمران (والدة مريم) فيذكر قصة حملها بمريم ونذر ما في بطنها ليكون خادماً للمسجد فقال تعالى: **﴿اذ قالت امرأة عمران ربّ اني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني انك انت السميع العليم . فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾** [1] فتقبل الله سبحانه وتعالى نذرها هذا ،وبعد ولادتها أتت بها الى المعبد وسلمتها للكهنة وكان بينهم زكريا عليه السلام فاختلفوا فيما بينهم أيهم يكفلها ،فأتفقوا على القرعة، فكانت من نصيب النبي زكريا عليه السلام فكفلها حتى اذا نبتت وبلغت ضرب لها من

---

(١) سورة آل عمران آية ٣٦ ومريم معناها (الخادمة).

دونهم حجاباً تعبد الله سبحانه ،لا يدخل عليها المحراب الاّ زكـريا فيقول سبحانه: ﴿فتقبلها ربها بقبولٍ حسنٍ وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو مـن عـند اللـه ان اللـه يـرزق مـن يشـاء بـغير حساب﴾ (١).

ثم ان الله تعالى بشرها بولادة عيسى المسيح عليه السلام حيث ارسل الملاك اليها وهي محتجبة وقد تمثل لها بشراً فبلّغها البشارة بأن الله سبحانه يهب لها طـفلاً مـباركاً يكـون رسـولاً الى بـني اسـرائـيل واخبرهابمنزلته العظيمة عند الله ،ثم نفخ فـيها فـحملت مـريم عليها السلام بالمسيح عليه السلام حمل المرأة بولدها والقصة كما يـذكرها القـرآن هـي: ﴿واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً. فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً. قـالت أني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقياً . قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاماً زكياً . قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغيا.قال كذلك قال ربك هو عليّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً﴾ (٢) ثم حان موعد الولادة المـباركة فـجاءها المخاض الى جذع النخلة وهناك وضعت عيسى عليه السلام ويذكر القـرآن أول معاجزه عليه السلام حيث كلّم والدته في أول يوم ولادته حيث يـذكر

---

(١) آل عمران آية ٣٧.

(٢) سورة مريم آية ١٦ – ٢١.

القرآن قصة الولادة بقوله تعالى: ﴿فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً . فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً . فناداها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً . فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر أحداً فقولي اني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم انسيّا﴾ (١).

ثم يقص القرآن كيف أن مريم العذراء عليها السلام جاءت بالمسيح عليه السلام الى قومها فلما رآوها والطفل معها ثاروا عليها بالطعن واللوم فسكتت وأشارت اليه عليه السلام أن كلموه فتعجبوا من ذلك اذ كيف يمكن التكلم مع طفل ما زال في المهد فنطق الطفل المعجزة بكلام رائع اذ يحكي القرآن هذا الموقف بقوله تعالى: ﴿فأتت به قومها تحمله قالوا ما مريم لقد جئت شيئاً فريّا يا أخت هارون ماكان أبوك أمرأ سوءٍ وماكانت أمك بغيّا . فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً . قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيّاً وجعلني مباركاً أين ماكنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً. وبراً بوالدتي ولم يجعلني جبّاراً شقياً. والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾ (٢).

ثم نشأ عيسى عليه السلام وشب وكان وامه على العادة الجارية في

---

(١) سورة مريم آية ٢٢ – ٢٦.   (٢) سورة مريم آية ٢٧ – ٣٣.

الحياة الدنيوية الطبيعية للبشر ، يأكلان ويشربان وفيهما ما في سائر الناس من عوارض الوجود الى آخر عمرهما. ثم أن عيسى عليه السلام أرسل الى بني اسرائيل فقام يدعوهم الى دين التوحيد ،وكان يدعوهم الى الشريعة الجديدة المطابقة لشريعة موسى عليه السلام الاّ أنه نسخ بعض ما حرم في التوراة تشديداً على اليهود ،وقد جاء ببينات ومعاجز كثيرة يذكرها القرآن وذلك فيقوله تعالى: ﴿ورسولاً الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بآيةٍ من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وأبرئ الاكمه والابرص وأحيي الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين . مصدقاً لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرّم عليكم وجئتكم باية من ربكم فأتقوا الله واطيعون . ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ [١] ثم أنه من خلال دعوته بشّر بالنبي الخاتم الرسول الاكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم اذ ينقل البشارة عن لسان عيسى عليه السلام بقوله تعالى: ﴿واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدياسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴾ [٢].

ولم يزل عيسى عليه السلام يدعوهم الى التوحيد والشريعة الجديدة

---

(١) سورة آل عمران آية ٤٩ – ٥١. (٢) سورة الصف آية ٦.

حتى أيس من ايمانهم لما رآه من استكبار وعناد الكهنة والاحبار عن قبول الدين والرسالة التي جاء بها فأنتخب من بين أتباعه الحواريين ليكونوا أنصاراً له الى الله سبحانه فيقول تعالى في القرآن الكريم: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري الى الله قال الحواريّون نحن أنصارالله﴾ [١].

وأيضاً ينقل القرآن الكريم قصة نزول المائدة من السماء على عيسى عليه السلام وحوارييه الذين طلبوا منه هذه المعجزة لتطمئن قلوبهم قال تعالى: ﴿اذ قال الحواريّون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين * قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين * قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا واخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين * قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾ [٢] ثم أن أحبار اليهود وعلمائهم ثاروا عليه يريدون قتله، فتوفاه الله سبحانه ورفعه اليه ، وشبه لليهود أنهم قتلوه وصلبوه فيقول تعالى: ﴿وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه

---

(١) سورة الصف آية ١٤. (٢) سورة المائدة آية ١١٢ - ١١٤.

لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الاّ اتباع الظن وما قتلوه يقينا * بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيما﴾ (١) فهذه مجمل ما قصه القرآن في المسيح عليه السلام وامه القديسة مريم.

كيف وصف القرآن الكريم المسيح(ع) وأمه

ان القارئ للقرآن الكريم يجد أن هذا الكتاب الالهي ذكر صفات للمسيح عليه السلام وأمه ، قل ما ذكرها لاحد الانبياء والنساء ، فقد ذكر لهذا النبي المكرم خصال رفع بها قدره ،وكذلك الحال بالنسبة لأُمّه الطاهرة. واني من هنا أدعو كل مسيحي محب للسيد المسيح عليه السلام وأمه العذراء بمطالعة هذا السفر الالهي المحمدي ومقارنته بما ذكره الإنجيل (العهد الجديد) من صفات وافعال لهذا النبي العظيم، ليرى الفارق الكبير بين الكتابين وايهما قد أماطا اللثام عن شخصية عيسى الحقيقية وأمه، القرآن أم الإنجيل ؟

وأنا هنا أكتفي بذكر بعض هذه الصفات لهذا النبي وامه في القرآن ، وأشير أيضاً الى بعض ما ذكرته الاناجيل من اوصافه عليه السلام وأترك الحكم للقارئ العزيز.

ولنبدأ أولاً بذكر ما ورد في القرآن عن الصديقة مريم العذراء ،

---

(١) سورة النساء آية ١٥٧ - ١٥٨.

ونستطيع القول بأنها المرأة الوحيدة التي قص القرآن قصتها بالتفصيل فينقل القرآن عنها :-

- ان الله قد اصطفاها وطهرها واصطفاها على نساء العالمين كما في قوله تعالى: ﴿**واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين**﴾ (١).

- كانت عليها السلام مقبولة عند الله وقد تكفل الله سبحانه تربيتها وانباتها كما في قوله تعالى عليها السلام ﴿**فتقبلها ربها بقبولٍ حسنٍ وأنبتها نباتاً حسناً ...**﴾ (٢).

كانت محدثة حدثتها الملائكة (وهي الوحيدة من النساء اللاتي ذكر القرآن أن الملائكة قد حدثتها) كما في قوله تعالى ﴿**اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمةٍ منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ...**﴾ (٣).

- كانت من آيات الله للعالمين كما في قوله تعالى: ﴿**والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين**﴾ (٤).

وغيرها من الاوصاف الاخرى التي ذكرها القرآن الكريم لهذه الصديقة الطاهرة.

---

(١) سورة آل عمران اية ٤٢.
(٢) سورة آل عمران اية ٣٧.
(٣) سورة آل عمران اية ٤٥.
(٤) سورة الانبياء اية ٩١.

وأما ما جاء في القرآن الكريم عن السيد المسيح عليه السلام فيمكن القول بأنها من المقامات الرفيعة التي خص بها هذا النبي المقرّب ونلخصها بما يلي :

- كان عليه السلام عبداً لله وكان نبياً كما في قوله تعالى: ﴿قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً»﴾ [١].

- وكان رسولاً الى بني اسرائيل كما في قوله تعالى ﴿ورسولاً الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بايةٍ من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً بأذن الله ...﴾ [٢]

- وكان واحداً من الخمسة اولي العزم صاحب شرع وكتاب وهو الإنجيل كما في قوله تعالى ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى...﴾ [٣] وأيضاً في قوله تعالى ﴿وقفّينا على اثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ...﴾ [٤].

- وكان عليه السلام قد سماه الله سبحانه بالمسيح عيسى وكان وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين كما في قوله تعالى ﴿اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن

---

(١) سورة مريم آية ٣٠. (٢) سورة آل عمران آية ٤٩.
(٣) سورة الشورى آية ١٣. (٤) سورة المائدة آية ٤٦.

مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾ [١].

- وكان عليه السلام كلمة لله وروحاً منه كما في قوله تعالى: **﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ...﴾** [٢].

- وكان من الصالحين والمجتبين كما في قوله تعالى: **﴿وزكريا ويحيى وعيسى والياس كلٌ من الصالحين﴾** [٣].

- وكان عليه السلام مباركاً اينما كان وكان زكياً باراً بوالدته كما في قوله تعالى **﴿وجعلني مباركاً أين ما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً * وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً﴾** [٤].

- وكان عليه السلام مسلّماً على نفسه كما في قوله تعالى: **﴿والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾** [٥].

- وكان عليه السلام ممن علمه اللهُ الكتاب والحكمة كما في قوله تعالى: **﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾** [٦].

- وكان مبشراً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما في قوله تعالى: **﴿واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه**

---

(١) سورة آل عمران آية ٤٥.

(٢) سورة النساء آية ١٧١.

(٣) سورة الانعام آية ٨٥ - ٨٧.

(٤) سورة مريم آية ٣١ - ٣٢ .

(٥) سورة مريم آية ٣٣.

(٦) سورة آل عمران آية ٤٨.

أحمد...﴾ [1]، وأوصاف وخصال أُخرى كثيرة نكتفي بما ذكرناه.

ولكن أود الاشارة هنا الى المحاورة التي ينقلهاالله سبحانه بينه وبين نبيه عيسى ابن مريم ، لنرى الأدب الرائع والعبودية التامة لهذا النبي أمام رب العزة ، وكيف ينفي ما نسب اليه من أُلوهية وانه بريئ من هذه العقائد الباطلة، فيقول سبحانه وتعالى:

﴿واذ قال الله ياعيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس أتخذوني وأمي إلٰهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب* ماقلت لهم الاّ ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد* ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم* قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ﴾ [2].

فالمسيح عليه السلام ينفي بشدة ما ينسبه المسيحيون اليه من مقام الالوهية.

يقول العلامة الطاطبائي في تفسيره القيّم (الميزان) عن هذه

---

(١) سورة الصف آية ٦.

(٢) سورة المائدة آية ١١٦ - ١١٩.

المحاورة « وهذا الكلام العجيب الذي يشتمل من العبودية على عصارتها ، ويتضمن من بارع الادب على مجامعه يفصح عما كان يراه عيسى المسيح عليه السلام من موقفه تلقاء ربوبية ربه ، وتجاه الناس وأعمالهم فذكر أنه كان يرى نفسه بالنسبة الى ربه عبداً لا شأن له الاّ الامتثال لا يرد الاّ عن أمر ، ولم يؤمر الاّ بالدعوة الى عبادة الله وحده ولم يقل لهم الاّ ما امر به ربه : أن اعبدوا الله ربي وربكم .

ولم يكن له من الناس الّا تحمّل الشهادة على أعمالهم فحسب، وأما ما يفعله الله فيهم وبهم يوم يرجعون اليه فلا شأن له في ذلك : غفر أو عذب »[١].

والمسيح عليه السلام بهذا البيان أيضاً ينفي كونه فادياً ومتحملاً للخطيئة عوضاً عن الناس كما يزعم المسيحيون.

هذا باختصار ما أورده القرآن حول شخصية هذا العبد الصالح والرسول المبارك عيسى ابن مريم وأمه العذراء.

ولنطالع الإنجيل (العهد الجديد) ونرى بماذا وصف هذا النبي من أوصاف يأباها العقل والذوق السليم وسنكتفي اختصاراً بذكر بعضها ومن شاء المزيد فليراجع العهد الجديد ويرى العجب.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ج٣ ص٢٨٢.

ـ المسيح(ع) صانع الخمر (الجيدة)

من المؤسف حقاً ان ينسب هكذا فعل الى النبي المكرّم المسيح عليه السلام والاعجب أن يكون بأمر من أمه الصديقة مريم عليها السلام ، فنحن نعلم أن الخمر قد حرّم في الشريعة الموسوية ولا سيما المسكر منه، ولكن نجد في العهد الجديد أن المسيح عليه السلام لم يكتفي بأنه لم يحرّمه بل هو الذي يصنع الخمر (الجيدة) المسكرة ليذهب بعقول الناس ، وأنا أذكر أنه عندما كنت مسيحياً وللاعتقاد الراسخ في نفوسنا بحرمة الخمر كنت أسأل والدي عن أسباب حرمة الخمر فكان يحدثني عن مضرات الخمر ،وكلما كانت تذكر هذه (المعجزة) كان بعض المتدينين يحاولون تفسير هذه المعجزة بشكل أو بآخر، ويجيبون بأن هذه الخمر الذي صنعها المسيح عليه السلام لم تكن مسكرة ،ولكن الإنجيل يرى خلاف ذلك ،وهذه المعجزة لم تذكر الاّ في انجيل يوحنا في الاصحاح الثاني فيذكرها أول معجزة صدرت من النبي عيسى المسيح عليه السلام فيقول:

«وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك ،ودعي أيضاً يسوع وتلاميذه الى العرس ، ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر ، قال لها يسوع مالي ولك يا امرأة ،لم تأت ساعتي بعد ، قالت أمه للخدام مهما قال لكم فافعلوه ،وكانت ستة اجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل

واحدٍ مطرين او ثلاثة ، قال لهم يسوع املاوا الاجران ماء ،فملأوها الى فوق ، ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا الى رئيس المتكأ فقدموا ، فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمراً ولم يكن يعلم من أين هي لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا، دعا رئيس المتكأ العريس وقال له :

كل انسان انما يضع الخمر الجيدة أولا ومتى سكروا فحينئذٍ الدّون ،أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة الى الآن، هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر مجده ». انظر (يوحنا ٢ : ١٢)، فالظاهر من حديث رئيس المتكأ أن الخمر التي صنعها المسيح عليه السلام كانت من الخمر الجيدة والتي تعطى عادة في الاعراس أولاً حتى يسكر الناس فتذهب عقولهم ثم يأتون بالخمر الدّون (الرديئة) بعد ذلك فلا يميز الناس بينها وبين الخمر الجيدة لسكرهم. فلا أدري هل جاء السيد المسيح عليه السلام لتنوير العقول وارشادها الى الحق ، أم لتخديرها واتلافها ؟!

ـ المسيح (والعياذ بالله) عاق لامه

وأيضاً تنسب الاناجيل الى المسيح عليه السلام أنه ظاهراً لم يكن باراً بوالدته ، بل أنه كان ينهرها بشكل غير لائق ، فخلال قصة الخمر الآنفة الذكر مثلاً تطلب منه أمه أن يصنع لهم خمراً ،ولكنه ينهرها

بحدة كما تنقل القصة « قال لها يسوع مالي ولك يا امرأة » بل انه لا يعتبرها ضمن المؤمنين ويحط من منزلتها أمام تلاميذه ،كما ينقل لنا انجيل متي ذلك في الاصحاح الثاني عشر : انظر ١٢ - ٤٦ - ٥٠ « وفيما هو يكلم الجموع اذا أمه واخوته قد وقفوا خارجاً طـالبين أن يكلموه ، فقال له واحد ،هو ذا أمك وأخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك ، فأجاب وقال للقائل له : من هي أمي ومن هم أخوتي ،ثم مد يده نحو تلاميذه وقال ها أمي واخوتي ،لان من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي ». ولا أدري كيف يمكن توجيه هذا التعامل القاسي مع أمه الصديقة ، مع اننا نرى أنه عليه السلام كان يوصي ويؤكد على اكرام الوالدين كماينقل ذلك انجيل متي نفسه : انظر ١٥ - ٤ « فأن الله أوصى قائلاً أكرم أباك وأمك ومن يشتم أباً أو أماً فليمت موتاً ».

ـ المسيح(ع) (والعياذ بالله) صار ملعوناً

واقعاً أن الانسان ليقف متحيراً من هذا القول في شخص هذا النبي المبارك ، فبولس يصف المسيح عليه السلام بانه ملعون (والعياذ بالله) فهو يذكر في رسالته الى أهل غلاطية يقول: «المسيح افتدانا من لعنة الناموس اذ صار لعنة لاجلنا لانه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة » (غلاطية : ٣ : ١٣) فهل يوصف باللعنة الا الاثيم المرتكب

للخطايا ؟ وهل اللعنة غير الطرد والابعاد عن رحمة الله سبحانه ؟

ـ المسيح (ع) تقبّل قدميه (الخاطئات)

وأيضاً ينقل لنا العهد الجديد قصة تقبيل قدمي المسيح عليه السلام من قبل امرأة (خاطئة) والقصة كما ينقلها انجيل لوقا هي « انظر لوقا : ٧ : ٣٦ » « واذا امرأة في المدينة كانت خاطئة ، اذ علمت أنه متكئ في بيت الفريسي جاءت بقارورة طيب ووقفت عند قدميه من وراءه باكية وابتدأت تبلُّ قدميه بالدموع وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب ،فلما رأى الفريسي الذي دعاه ذلك ، تكلم في نفسه قائلاً لو كان هذا نبياً لعلم من هذه الامرأة التي تلمسه وماهي، أنها خاطئة » ... فقد أنكر الفريسي هذا الفعل من المسيح عليه السلام اذ كيف يقبل نبي أن تلامسه وتقبل قدميه امرأة أجنبية خاطئة . بل أن القصة كما يذكرها انجيل يوحنا، يعترض هناك يهوذا على فعل المسيح عليه السلام من جهة أن هذا الطيب الذي مسحت هذه المرأة قدميّ المسيح عليه السلام به كان يقدر قيمته بثلاثمائة ديناراً فلماذا لم يبع ويعط للفقراء الموجودين ، والقصة كما ينقلها يوحنا في انجيله هي « فأخذت مريم منّاً من طيب ناردين خالصٍ كثير الثمن ودهنت قدمي يسوع ومسحت قدميه بشعرها ، فامتلأ البيت من رائحة الطيب فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا سمعان الاسخريوطي المزمع أن يسلّمه

،لماذا لم يبع هذا الطيب بثلاثمائة ديناراً ويعط للفقراء ... ، فقال يسوع اتركوها إنها ليوم تكفيني قد حفظته لان الفقراء معكم في كل حين وأما أنا فلست معكم في كل حين » (انظر : يوحنا : ١٢ : ٣ – ٨).

ـ المسيح (ع) مفرّق للرحم والاقارب

أن الاعتقاد السائد عند المسيحيين أن يسوع المسيح عليه السلام هو الداعي الى المحبة والسلام بين الناس جميعاً ، ولكننا نجد خلاف هذا الاعتقاد في كتب العهد الجديد ،فهذا انجيل متي ينقل عن المسيح عليه السلام قوله « لا تظنوا أني جئت لالقي سلاماً على الارض ، ما جئت لالقي سلاماً بل سيفاً ، فأني جئت لافرّق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنّة ضد حماتها واعداء الانسان أهل بيته ». (انظر متى : ١٠ : ٣٤ – ٣٦) بل لم يكتفي بذلك حتى أضرمها ناراً كما ينقل لوقا في انجيله (انظر لوقا : ١٢ : ٤٩ – ٥٣) « جئت لألقي ناراً على الأرض فماذا أريد لو اضطرمت أتظنون أني جئت لاعطي سلاماً على الارض . كلا أقول لكم ، بل انقساماً »... ولكن بالرغم من هذا فنحن نجد أن المسيحيين يصفون المسيح عليه السلام بأنه نبي الرأفة والمحبة والسلام ويعتقدون أن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم جاء بالقوة والسيف ، ويعتبرون الاسلام دين السيف !

ـ المسيح(ع) يجزع من الموت ويعاتب الله سبحانه

اذ تنقل كتب العهد الجديد أن المسيح عليه السلام وعند اقتراب ساعة (موته) قد جزع حتى الموت وتوسل بالله سبحانه أن تعبر عنه هذه الكأس ، ولما لم يستجب له الله سبحانه عاتبه وهو معلق على الخشبة لماذا تركه ، والقصة كما يذكرها انجيل متى هي « ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب ، فقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت ، أمكثوا هنا واسهروا معي ، ثم تقدم قليلاً وخرّ على وجهه وكان يصلي قائلاً يا أبتاه ان أمكن فلتعبر عني هذه الكأس » انظر متى ٢٦ : ٣٧ - ٤٠ وفي تلك الليلة صلى ثلاث مرات قائلاً ومكرراً لذلك الكلام بعينه . وبعد أن ألقوا القبض عليه وصلبوه وارادوا قتله ، صرخ بصوت معاتباً ربه لماذا تركه ، كما ينقل لنا ذلك متى في انجيله أيضاً (انظر متي : ٢٧ - ٤٦) « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً ايلي ايليَ لما شبقتني أي الهي الهي لماذا تركتني ». فلا أدري كيف يمكن تفسير هذه الحادثة ، فهل الموت بالنسبة للانسان المؤمن الاّ انتقال من عالم الى عالم آخر خير منه ، وهذا ما يؤكد عليه الاسلام ،فهذا وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي ابن أبي طالب ينقل عنه كلمته المشهورة « لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بثدي امه » ويقول الله سبحانه في القرآن الكريم: ﴿يا أيها **الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين**

﴾. فان المؤمن يلتذ بالموت ولا سيما اذا كان قتلاً في سبيل الله ، ولكننا نرى المسيح عليه السلام (ابن الله) يجزع منه حتى الموت.

وما هذا الاّ غيض من فيض ومن شاء التعرف أكثر على شخصية المسيح عليه السلام في الاناجيل ، فليطالع العهد الجديد ليرى ما وصفت به المسيح عليه السلام من تناقضات في شخصيته ، وفي الواقع فان القرآن الكريم هو الذي أجلى الحقيقة عن شخصية هذا النبي العظيم.

فالقرآن نزّه ساحة عيسى المسيح عليه السلام عن كل شائبة ونقص، فقد صوّر لنا المسيح عليه السلام نبياً ورسولاً مباركاً وديعاً باراً ، لا جباراً ولا شقياً ، وعبداً موحداً خاضعاً لله ، وغير مدعٍ لشئ غير معقول من ألوهية أو اتحاد أو حلول ، ثم نجده في القرآن عزيزاً محترماً مرفوعاً الى السماء مصاناً بالعزة الالهية ، وانه روح الله وكلمته وصنيعه، ومستودع اسراره وحكمته.

وعلى العكس من ذلك نرى المسيح عليه السلام في العهد الجديد ، رجلاً صانع للخمر وشريب لها[(١)] عاقاً لامه قاطعاً ومفرقاً للرحم ، مسرف يستأنس بمسح الامرأة الاجنبية (الخاطئة) لقدميه وتقبيلها وتدهينها بالطيب الغالي الثمن ، وأيضاً أنه ملعون لانه مصلوب على خشبة ،ويلصقون به الالوهية عنوة، فهو الله وابن الله ، وغيرها من

---

(١) انظر : انجيل متي : ١١ : ١٨ - ٢٠ « لانه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فيقولون فيه شيطان. وجاء ابن الانسان يأكل ويشرب فيقولون هو ذا انسان أكول وشريب خمر ،محب للعشارين والخطاة ».

الاوصاف الكثيرة التي يرفضها العقل ويأباها.

فلا يبقى شك ولا ريب في أن (بارقليطا) الذي أشار اليه المسيح عليه السلام في الإنجيل والذي سيشهد له بالحق [«كما ذكر ذلك انجيل يوحنا قائلاً: «ومتى جاء المعزي» الذي سأرسله أنا اليكم من الاب روح الحق الذي من عند الاب ينبثق فهو يشهد لي » انظر : يوحنا : ١٥ : ٢٦ – ٢٧] هو النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي شهد له بالحق ، ورفع قدره ،ونزه ساحته المقدسة عن كل سوء ، وذلك من خلال الكتاب الالهي الموحى اليه من قبل السماء ،أي (القرآن الكريم).

الشريعة

من الشبهات التي كانت تلقى الينا دائماً عن الاسلام ،هي أن في الدين الاسلامي احكاماً وتكاليفاً لا تطاق أبداً ، ولاني أعيش في بلدٍ أغلب سكانه من المسلمين ،فكنت أرى تلك العبادات والطقوس التي يؤديها المسلمون ، تقع في أغلب الاحيان محل للسخرية من قبلنا ، وكان السؤال والاشكال الأهم المطروح في هذه المسألة هو ما الغرض من كل هذه التكاليف الشاقة التي جاء بها الاسلام، كالصلاة خمس مرات يومياً والصيام شهراً في السنة ، ودفع الزكاة والحج وغيرها من التكاليف ؟

وفي اعتقادي فان هذه الشبهة كانت ناتجة عن عدم فهم حقيقي وواقعي للشريعة ، ودورها في تكامل الانسان وارتقاءه مدارج الكمال المنشود له ، ولا سيما من قبل المسيحيين الذين طرحوا الشريعة جانباً واكتفوا بالايمان وحده سبيلاً للنجاة. اذ ليس التكاليف

الإلٰهية والاحكام الشرعية الاّ امتحاناً الهياً للانسان في مختلف مواقف الحياة ، ومن خلالها يمكن التمييز بين حزب الرحمن وحزب الشيطان ، بل هي المخرجة لكمالات الانسان من القوة الى الفعل ،فنستطيع تشبيه الشريعة والتكاليف الالهية بالسلّم الذي يتمكن من خلاله الانسان للوصول الى أعلى مراتب الكمال الانساني. وقد أشار الى هذا المعنى المسيح عليه‌السلام نفسه حسب ما تنقله كتب العهد الجديد ،فينقل لنا مرقس في إنجيله: أن رجل جاء بأبنه مريضاً به روح نجس الى تلامذة المسيح عليه‌السلام فلم يقدروا على شفائه واخراج الروح النجس منه ، فلما جاء المسيح عليه‌السلام أخرج ذلك الروح النجس من الولد ، فسأله تلاميذه لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه فقال لهم : هذا الجنس لا يمكن أن يخرج الاّ بالصلاة والصوم. « انظر مرقس : ٩ : ١٤ - ٢٩ » فالمسيح عليه‌السلام يشير الى أن اخراج الارواح النجسة وشفاء المرضى تحتاج الى قوة ايمان عالية وهذا لا يتحصّل الاّ بالصلاة والصوم.

وعلى هذا تعتبر الشريعة الالهية والتكاليف العملية التي يأمر بها الدين من أشرف النعم الالهية التي منّ بها الله سبحانه على الانسان.

وكما أشرت سابقا فان النبي موسى عليه‌السلام أرسل بشريعة تناسب حال ذلك الزمان الذي بعث فيه ، والمسيح عليه‌السلام أيضاً كما بينّا

لم ينقض الناموس والشريعة أبداً، بل أنه جاء متمماً لتلك الشريعة ، ولكن للاسف فأن الذين جاءوا من بعده هم الذين طرحوا الشريعة واكتفوا بالنواميس الروحية بدلاً عن التكاليف الشرعية، ولكن بالرغم من ذلك فما زالت بعض الاحكام الشرعية والطقوس العبادية قائمة في المسيحية كالصلاة مثلاً والوصايا الاخلاقية العشرة. وأيضاً النبي محمد ﷺ لم يأتي لنقض الشريعة بل أنه جاء متمماً ومكملاً للشريعة ، ولانه ﷺ خاتم الانبياء والرسل كانت شريعته هي الاخرى أكمل الشرائع وأتمّها وهي باقية وخالدة الى يوم القيامة، وتتضمن قوانين وأحكام ثابتة ومتغيرة تستطيع من خلالها مواكبة متطلبات ومستجدات الحياة في الدنيا وحتى الساعة الموعودة.

ومن خصائص هذه الشريعة السمحاء هي شموليتها لكل مجالات الحياة الفردية والاجتماعية ،فلا يخلو فعل من أفعال الانسان الاّ وله حكم معين في هذه الشريعة المقدسة ،فهو اما أن يكون واجباً أو حراماً أو مستحباً أو مكروهاً أو مباحاً. وتضمن هذه الشريعة للانسان الذي يتمكن من اخضاع كل افعاله لاحكامها الشرعية من العيش سعيداً في الدنيا والآخرة.

وأيضاً الصفة الاخرى المهمة هي عدم مخالفتها لفطرة الانسان أبداً فليس فيها تكاليف شاقة ولا تطاق كما كنت أعتقد ،بل لم يكلف الله فيها نفساً الاّ وسعها، وما جعل الله فيها من حرج، وهذا ما لمسته

شخصياً من خلال ممارستي للطقوس العبادية التي أمرت بها، وخضوعي للاحكام العملية التي أقرّتها. فهي رفضت الرهبانية والانزواء عن المجتمع ، وكذلك نهت عن الانغماس كلياً في الحياة الدنيا ، بل تعاليمها تعتبر النمط الأوسط بين هذه وتلك.

ويمكن تقسيم الشريعة الاسلامية الى قسمين:

أولاً : جنبة عبادية وطقوس دينية ،تعتبر وسيلة لتمرين النفس على التوجه الى الله ، والانقياد الى طاعته ،وتوثيق الرابطة بين العبد ومولاه ،واعتقد أنها في هذه الجنبة موافقة مع المسيحية في أن الاعمال العبادية موجبة للقرب من الله العظيم ، وهذا ما نجده في حالات المسيح عليه السلام من كثرة وشدة العبادة التي نقلتها لنا كتب العهد الجديد ،فقد صام أربعين نهاراً واربعين ليلة وصار مع الوحوش في البرية ليجرّب ن ابليس (انظر : متى : ٤ ، لوقا : ٤ ،مرقس : ١) وكان يأمر تلاميذه بأن لا يملّوا من الصلاة أبداً. (انظر : لوقا : ١٨ – ١)، ولكن العبادات التي جاء بها الاسلام تختلف كثيراً عما هو موجود في المسيحية ،من حيث الكمية والكيفية ، فالصلاة مثلاً تلزم الشريعة الاسلامية الانسان بادائها خمس مرات يومياً ، وبكيفية خاصة فيها قيام وركوع وسجود في حين أن الصلاة في المسيحية تقتصر على بعض الصلوات والقداس الكبير يوم الاحد ،وهي كما تعلمتها في الكنيسة وكنت أمارسها ، لا سجود فيها ولا ركوع ، بل كل ما في

الامر هي قراءة بعض نصوص من الإنجيل مع تراتيل وأناشيد خاصة ونحن جالسون على المقاعد أو واقفون، وبعد ذلك نذهب لاعلان التوبة والاعتراف .

والذي وجدته شخصياً من خلال ممارستي لكلا الصلاتين هو الفرق الكبير بينهما ،ففي الصلاة التي أمر بها الاسلام يشعر الانسان من خلال ركوعه وسجوده لربه وخالقه العظيم ، حالة من الخشوع ونوع من الارتباط والقرب منه سبحانه ، في حين لا يشعر الانسان ذلك في الصلاة الكنيسية ، واعتقد ان الصلاة في المسيحية هي الاخرى قد حرفت ، فأن العهد الجديد عندما كان ينقل لنا الصلاة التي كان يؤديها المسيح عليه السلام كان يخر على وجهه ساجداً في صلاته كما تذكره الاناجيل في ليلة التسليم (انظر متى:٣٩:٢٦) (ثم تقدم قليلاَ وخر على وجهه وكان يصلي) في حين أن صلاتنا الحالية لا أثر للسجود فيها.

ثانياً : الجنبة الاجتماعية والمعاملات بين الناس ، فالشريعة في احكامها هذه تسعى لتنظيم الامور المعيشية والحياتية في المجتمع بشكل يؤدي الى نشر العدالة والالفة والمحبة بين افراده ، ومراعاة المصالح العامة التي تؤدي الى استقرار ونظم المجتمع.

والشيء الملفت للنظر حقاً في هذه لاحكام والقوانين أنها جاءت قبل أربعة عشر قرناً ، ولكنها الى يومنا هذا تعتبر من أرقى

القوانين التي توصل اليها العقل البشري في طول هذه المدة ، وهذا ما اعترف به الكثير من العلماء في المجالات والعلوم المختلفة. وهذا دليل قوي آخر على أن مصدر هذه الشريعة هو السماء والوحي ،اذ أنه من المستحيل أن تكون من فكر وخيال رجل عاش وترعرع في الجزيرة العربية التي كانت غائطة في ظلمات الجهل ، والتي كانت تسودها عادات وتقاليد واحكام يكاد لا يشم منها رائحة الانسانية.

فلا يبقى شك ولا ريب في أن هذا الرجل كانت له علاقة ورابطة بالسماء ، وأنه النبي الخاتم الذي بشّر به المسيح عليه السلام في الإنجيل.

الخاتمة

ان الذي ذكرته في هذه الأوراق ، هو نبذة مختصرة عن رحلتي من المسيحية الى الاسلام، وما انكشف لي فيها من الحقائق، وقد رمت الاختصار قدر الإمكان في هذا البحث، وكان بودي أن أُشير الى موضوع اعتبره مهماً جداً في هذا البحث، وهي المسألة الاخلاقية والروحية، والسلوك العرفاني في الاسلام والمسيحية، والطرق والمسالك التي تبنّاها الاثنان لوصول الانسان الى كماله النهائي وهو القرب من خالقه وربه، وفق النظرية الالهية. ولكني لإحساسي بأهمية هذا الموضوع، اثرت أن أفرد له بحثاً ورسالة مستقلّة ، اتعرض اليه فيها بشكل مفصّل، انشاء الله تعالى.

وفي الحقيقة فالذي دفعني لكتابة هذا البحث هو احساسي وشعوري بالمسؤولية الانسانية اتجاه ابناء جلدتي، عسىٰ أن يكون صوتاً للحق يقرع اذان قلوبهم فيستفيقوا من نوم الغفله، فالمشكله التي

يعيشها اغلب افراد العائلة البشرية ـ وللأسف الشديد ـ هي ابتعادهم عن الهدف الاساس الذي خلقنا من اجله، وصار الهمّ الشاغل لهم هو الدنيا، والانشغال بزينتها وزخرفها، وأما الديـن والمسـائل الروحـية والحب الالهي ، اصبحت أُموراً هامشية عند اغلب الناس أو أنهم غفلوا عنها كلياً.

وأيضاً فهذه دعوة لاخوني المسيحيين الذين ابتعدوا كثيراً عن التعاليم والعقائد التي جاء بها السيد المسيح عليه السلام فهم يتبعونه بالاسم فقط، وأمـا مـا يـحملونه مـن عـقائد وتـعاليم فـي الوقت الحـاضر فهي مخالفة له كثيراً، فالعقائد التوحيدية التي جاء بها ، تـحولت الى عقائد اشبه بالوثنية كالتثليث والبنوّة، والشريعة والناموس الذي أكد عليها وأوصىٰ بها مراراً ، طرحت ارضاً واكتفي بدلاً عنها بالنواميس الروحية والايمان المجرد.

فهذه دعوة لكل مسيحي حر باحث عن الحق والحقيقية ،أن لا يكتفي بقبول ما يلقى اليه من قبل الكـنيسة عـلى أنـه مـن الامـور المسلّمة واليقينية ، بل ليجدّ في البحث والتحقيق العميق في عقائده وامور دينه ، لانها مسألة ذات أهمية كبيرة ، فأن الحـياة الاخـروية الابدية التي نحن مقبلون عليها، سعادتها وشقائها ما هـي الاّ نـتيجة لعقائدنا واعمالنا في حياتنا الدنيا « فالدنيا مزرعة الآخـرة» فـيجب اعطائها اهتماماً كثيراً من فكرنا ووقتنا. وهذا أمـر عـظيم وخـطير ،

فحرّي باللبيب أن يجهد نفسه وفكره في انتخاب الطريق الصحيح الذي يوصله الى السعادة في ذلك العالم. وأخيراً فان الانسان الذي يروم اتباع الحق بعد كشفه للحقيقة لابد أن يواجه مشاكل وصعوبات كثيرة ، فقد يحارب من قبل أهله وأقاربه ، ويهجره أحبائه واصدقائه ، وقد تضيق عليه سبل العيش ، ولكنها كما أعتقد لها طعمٌ ولذة خاصة لانها في عين الله ،ولاجل الله وحبه ،وبالتأكيد فان الله الرب الرحيم سيخلفه بدلاً عنها الرضا والقناعة في الدنيا ، والسعادة والعيش في جنة النعيم عند مليك مقتدر في الآخرة .

وأرتأيت أن يكون مسك الختام لهذا البحث، آيات من الكلام الإلٰهي الموحىٰ (القرآن) تحكي قصة رجل مؤمن يدعو قومه الى الحق، والآيات هي:

﴿وجاءَ من أقصىٰ المدينة رجلٌ يسعىٰ قال يا قوم اتبعوا المرسلين* اتبعوا من لا يسئلكم اجراً وهم مهتدون* ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون* ءَأتخذُ من دونه إلٰهةً إن يُردنِ الرحمٰنُ بضرٍّ لا تغني عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون* إني إذاً لفي ضلالٍ مبين* اني آمنتُ بربكم فاسمعون* قيل ادخل الجنة قال يا ليتَ قومي يعلمون* بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

المصادر

■ المصادر الاسلامية

- القرآن الكريم

- الميزان في تفسير القرآن ... العلامة محمد حسين الطباطبائي / الطبعة الثالثة.

- الهدىٰ الى دين المصطفىٰ... الشيخ محمد جواد البلاغي الطبعة الثانية.

- بحار الأنوار... العلامة المحدث محمد باقر المجلسي.

- الإلهيات... الاستاذ المحقق الشيخ جعفر السبحاني.

- الاعلام في نصرة الاسلام ... فخر الاسلام محمد صادق.

- السيرة الحلبية... العلامة علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي.

- تاريخ الطبري... محمد بن جرير الطبري.

ـ سيرة المصطفىٰ... هاشم معروف الحسني.

■ المصادر المسيحية

ـ الكتاب المقدس: (العهد القديم والعهد الجديد) الترجمة العربية (جمعية الكتاب المقدّس في لبنان الطبعة الاولى ١٩٩٣).

ـ معجم اللاهوت الكتابي: الترجمة العربية ـ اشرف على الترجمة ـ نيافة المطران انطونيوس نجيب.

ـ كتاب العهد الجديد: مترجم من اللغة اليانونية الى العربية مع ملحق المبادئ الروحية الأربعة. (دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط).

ـ تعاليم الكتاب المقدس: القس بسام ميخائيل مدني ـ مطبوعات ساعة الاصلاح ١٩٧٧ ـ.

ـ تفسير العهد الجديد: العهد الجديد بترجمته العربية المعروفة بترجمة البستاني ـ فانديك ـ وهي من الترجمات الأكثر انتشاراً في العالم العربي (طبع جمعية الكراريس البريطانية واعادت طباعته جمعية الكتاب المقدّس).

ـ قاموس الكتاب المقدس : تأليف نخبة من الاساتذة ذوي الاختصاص من اللاهوتيين الهيئة المشرفة (الدكتور بطرس عبدالملك ـ الدكتور جون الكسندر طُمسن ـ الاستاذ ابراهيم مطر)

(صدر عن دار الثقافة ـ القاهرة ١٩٩١م).

ـ المسيح في الفكر الاسلامي الحديث وفي المسيحية ـ تأليف الأب الدكتور منير خوّام اختصاص في اللاهوت ـ علم النفس ـ الفلسفة ـ وهي الاطروحة التي قدّمها في الجامعة اليسوعية بيروت ـ لبنان) الطبعة الأولى.

ـ نظرة عن قرب في المسيحية : بقلم الكاتبة الاميركية باربارا براون ـ ترجمة المهندس مناف حسين الياسري ـ (شركة التوحيد للنشر ـ ١٩٩٥م).

الفهرست

الفصل الأول

الفصل الثاني